الاتجـاهات المذهـبيـة في شـعر الصاحب بن عبّاد

رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في اللغة العربية

إعـ ـ ـداد الطالبة:

وفاء عز الدين حسب الله الحاج

بكلاريوس الآداب والتربية – مرتبة الشرف – جامعة الفاشر

إشـ ـراف:

د. أسامة السيد محمد بابكر

قسم اللغة العربية – كلية التربية

أبريل 2009م

الإستهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾

صدق الله العظيم
سورة هود ~الاية (118)

الإهداء

إلى روح أبى معلمي الأول الذى لقنني بدايات الحروف

و أرشدني طريق السير فى درب الحياة و أنار لي حوالكها

إلى التي مازالت تنحت الصخر لنا أمـي

إلى الذين كان لهم الاثر الأكبر في تشجيعي لمواصلة دراستي إخوتي

إلى شموع المعرمة التي تحترق لتضئ للأخرين أساتذتي

إلى كل متكبد للمشاق في سبيل العلم

أُهدي هذا الجهد المتواضع

الباحثة

الشكر و العرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

(تَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) سورة النمل الايه(19)

الشكر من قبل و من بعد و الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات و بتوفيقه تنجز جلائل الأعمال .

أتقدم بالشكر الخالص و التقدير الفياض و العرفان بالجميل لمن تعهدني بوافر عطائه و توجيهاته النيرة ، المربي الجليل الدكتور أسامة السيد محمد المشرف على هذا البحث الذي لم يدخر جهداً رغم مسئوليتاته الكثيرة في توجيهي و إعطائي من فيض علمه له مني أجزل الشكر و نسأل ا العلي القدير أن يحفظه ويرعاه منبعاً و نبراساً منيراً لطلاب العلم و مربياً لابنائه الدارسين ،جزاه ا عنا خير الجزاء.

و الشكر لأساتذتي بقسم اللغة العربية ، كما أخص بالشكر الأستاذ سليمان إبراهيم عبدا لما بذله من نصحٍ و ارشاد .

و الشكر للقائمين على أمر المكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية و مكتبة جامعة القرآن الكريم و العلوم الاسلامية .

ولايفوتني أن أزجي الشكر للأخ محمد الباقر لما بذله من جهد قي سبيل طباعة البحث ، وابعث بشكرى عرفاناً للجميل إلى كل من ساهم بوقته أو نصحه أو أبدي اهتماماً بأمر هذا البحث حتى خرج إلى النور .

الباحثة

مســتخلص

عاش الصاحب بن عباد فى عصر يعد من اخصب العصور الأدبيه و قد مثّل الشعر المذهبي "التشيع والاعتزاز " جزاءاً مهماً من شعره لذا جاء عنوان البحث " الأتجهات المذهبية فى شعر الصاحب " .

تهدف الدراسة الى ابراز جانب من الجوانب المؤثرة على حياة الشاعر و نتاجه الأدبى، و الالمام بثقافة الشاعر الذى طغى نثرة على شعره ثم الوقوف على أثر التشيع و الإعتزاز فى شعره
أهمية البحث تكمن فى إبراز القيم الدينية للفكر الإعتزالى و التشيع المتمثل فى حبال البيت عن طريق الشعر . وقد تبع فى هذا لبحث المنهج الوصفى .

وقد جاء البحث فى مقدمة و ثلاثة فصول تكاملت جميعها فى الإحاطة بموضوعه و أحتوى كل فصل على ثلاثة مباحث و ختم بخاتمه متضمنه لاهم النتائج التى خاص إليها البحث منها :

اولاً : إمتاز شعر التشيع عند الصاحب بكثيرة قصائده و مقطوعاتة و مواكبته لجسام احداث الشيعة منذ القدم إلى عصره مما جعل شعره فى هذا المجال بمثابة وثيقه تاريخيه .

ثانياً :على النقيض من شعر الصاحب الشيعى شعره الإعتزالى الذى لايعدو كونه مقطوعات او ابيات يسيرة متناثره و سبب ذلك يعود إلى طبيعة نشاط المعتزلة الفكرى القائم على المناقشة و الجدال .

ثالثاً : لم يمدح الصاحب غير آل البيت و لم يتشيع لسواهم .

رابعاً : لم يرث الصاحب تماماً كما فى المديح احداً إلا من ال البيت اذ توجه برثائه كله إليهم موضحاً ما أصابهم من قتل و ظلم و تشريد و خصت الحسين كعادة شعراء الشيعة

و أخيراً الحقت بالبحث شيت باسماء المصادر و المراجع التى استقت منها معلومات البحث و فهارس عامة للآيات القرانية و الآحاديث النبوية و اللإشعار الواردة فيه.

Abstract

Al sahib lbn Abbad lived in an age which considered one of the most prosperous ages of Arabic literature . Sectariany poetry (Shiite) and Seclusion (Etizal) were important feature of his poetry.

The study aims at presenting effective sides of his life on his literary production and writings besides knowing the poet's culture that made his prose override his poetry as a result of the influence of Shiite and Seclusion on his poetry.

The importance of this research was built on revealing religious values of Shiite and Seclusion views towards the relatives of Prophet Mohammed throughout the port's literary production. The researcher adopted the descriptive approach to conduct the Study.

The research is made up of an introduction and three chapters which in aggregate covered the study where every chapter included three subjects.

The research is concluded by the most important results that the study came out with as follows:

Firstly: through the study of the Shiite's poetry, it appeared clearly that Shiite's poetry was considerably able to keep pace with the great events of Shiites throughout the history , the thing that made his poetry considered as vital historical documentary .

Secondly: unlike the Shiite's poetry , lbn Abad's isolationist poetry was not more than few pieces of stanzas or lines which refer to the ideational activity which was based on discussion and controversy .

Thirdly: In lbn Abbad's poetry, it was clear that he didn't praise anyone other than the relative of the prophet Mohammed.

Fourthly: like his exclusive praise, lbn Abbad directed all his lamentations to the relatives of the prophet Mohammed and what

they suffered from ; killing injustice and exclusion especially El Hussein Bin Ali.

Finally: the conclusion was followed by a list of resources and references from which the research is composed in addition to general indexes for the Quranic verse , Hadiths and poetry incorporated in the research .

المحـتويات

المقــدمة:

للغة العربية روافد تغذيها و تقويها و من أهم هذه الروافد القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ، والحكم والأمثال و الشَعر الوسائل التي يعبربها الإنسان و يصور ما يجيش قي نفسه و قد أبدع الشعراء في كتابة الشعر و قد اهتموا به اهتماماً كبيراً .

و لأهمية الشعر ودوره فى تطور ورقي الأمم ، و قفتُ فى هذا البحث على الاتجاهات المذهبية فى شعر أحد شعراء العربية ألا و هو الصاحب بن عباد ، عاش ابن عباد فى عصر يعتبر من أخصب عصور الأدب العربي و عاصر أكبر شعراء العربية (المتنبئ) و يمثل شعر التشيع جزءاً مهماً من شعر ابن عباد و ذلك لدلالته على مذهبه ،وقد سبقه إلى هذا المجال كثير من الشعراء مثل الكميت بن زيد الأسدي و السيد الحميري و غيرهم .

جاء الأدب الشيعي صورة صادقه لما وقع على العلويين من إضهاد فقد قتل الإمام علي ، وأصبح آله يستذلون و يضامون و يقصون و يمتهنون و يحرمون و يقُتلون و يخافون و لايأمنون على دماء اوليائهم .

جل أشعار ابن عباد فى مدح آل البيت و التشيع لهم و هاجم ابن عباد كل من يبغض الإمام علي كرم ا وجهه ، كما دكر مبادئ المعتزلة في شعره .

وقع إختياري لهذا الموضوع لأسباب أعدد منها مايلي:

أولاً : لما في شعر الصاحب من القيم الدينية و حب آل البيت عليهم السلام أجمعين .

ثانياً: لأنه ادب يمجد سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم و ينتصر لحقهم .

ثالثاً : لأنه أدب يبرز مبادئ المعتزلة .

و يهدف البحث إلى :

- إبراز جانب من الجوانب المؤثرة على حياة الشاعر ونتاجه الادبى .
- الإلمام بثقافة الشاعر الذي عرف بنثره أكثر من شعره .
- أثر التشيع و الإعتزاز في شعره .
- مدى غبازه لعقائد الشيعة و التأثر بأفكار المعتزلة في شعره .

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي .

اما الدراسات السابقة عن الشاعر دراستان الأولى بعنوان الصوره الفنية في شعرأبن عبّاد ، للعوض عبدالله الصديق ، رسالة ماجستير ، جامعة ام درمان الإسلامية 2001م . و الثانية بعنوان الجملة الإسميه في شعر أبن عبّاد للحسين موسي علي الإمام ، رسالة ماجستير ، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا 2005م ، وقد تناولت الرسالتان الصاحب تناولاً طولياً أي درستا عصره و تفاصيل حياته وانفردت بدراسة الصورة الفنية في شعره .

مصطلحات البحث :

المذهب: مصدر الذهاب ، و المذهب أن الدين منسوب إلى الله تعالى ، و المذهب هو أن يورد حجة للمطلوب على طريق أهل الكلام ، و هو منسوب إلى المجتهد .
و يقولون ذهب لذهبه: أى لمذهبه الذى يذهب إليه .

التشيع: قد غلب على كل من يتولى علياً و أهل بيته رضي الله عنهم ، حتى صار اسم لهم و قالو انه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و اعتقدو أن الإمامه لاتخرج عنه وعن أولاده .

الإعتزال: عزل الشئ تعزله عزلاً ، و عزله فاعتزل و إنعزل نحاه جانباً فتنحى ، و يرجع أصلها الى واصل بن عطاء غثر إنفصاله عن حلقة الحسن البصري حينما تكلم عن مرتكب الكبيرة و جعله في منزلة بين منزلتين فلم يحكم عليه بالإيمان و لا الكفر و اعتزل مجلس الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمى أصحابه معتزلة .

الإتجاه: هو الجهة و في الأصل هو ما يوليه الإنسان وجهه فنقل المعنى الى الاعتقاد و المذاهب .

ظاهرة: ظهر الشئ تبين ، و أظهرت بفلان : أعلنت به و جاء فلان في ظهرته : أى في قومه ، و يطلق أصطلاحاً على كل شئ و اضح فى عمل أدبي أو نحوه .

يقع البحث في مقدمه و ثلاثة فصول : تتناول الفصل الأول عصر الشاعر و حياته فى ثلاثة مباحث ، جاء المبحث الاول بعنوان عصره و الثاني حياته و ثقافته و الثالث آثاره الأدبية متمثلة فى النثر و الشعر و النقد .

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان الشعر المذهبي في مباحث ثلاثة أيضاً ، الأول: عن شعر الشيعة و الثاني عن شعر المعتزلة والثالث عن شعر الخوارج و المرجئة .

أما الفصل الثالث فقد جاء متناولاً ، مظاهر التشيع و الإعتزال فى شعر الصاحب ، و مباحثه ثلاثة كذلك . الأول: مظاهر التشيع في مديحه . و الثانى: رثاؤه ومظاهر التشيع فيه . و الثالث: مظاهر الإعتزال في شعره . ثم خاتمة متضمنة النتائج التي خرجت بها الباحثة ، والمصادر التي استقتُ منها المعلومات ، و من ثم الفهارس .

و ختاماً هذا جهد متواضع قدمته عسى أن يفيد في دراسة الظاهرة ، فإن أصبحت المقصد فذاك توفيق من الله و إن أخطاته فهو سعئ سعيته و بذلتُ فيه ما استطعت ، و الله المستعان .

الفصل الأول

عصر الشاعر وحياته

المبحث الأول: عصـــــره.
المبحث الثاني: حياته وثقافته.
المبحث الثالث: مساهماته الأدبية.

المبحث الأول

عصـــره

الحياة السياسية:

عاش الصاحب بن عباد في القرن الرابع الهجري زمن بني بويه وهم جماعـة من الفرس حكموا العراق وجنوبي فارس زهاء قرن من الزمن ونيـف فكـان مـن الطبيعي أن يصاب العرب في عهدهم بنكسة وأن تكون الغلبة للقومية الفارسية ، وأن يسود المذهب الشيعي ويتوغل في شرق الدولة العباسية المفككة وغربها وأن يـؤدي ذلك الي صراع عنيف بين السنيين الذين كان يساندهم الأتراك وبين الروافض الـذين كان يساندهم البويهيون[1].

بنو بويه هم من قواد الديلم الذين تطاولوا للإسـتيلاء علـى اعمـال الخلفـاء العباسيين ولما لم يروا عنها مدافعاً ولا بها حامية فتنقلوا في نواحيها ، وملك كل واحد اعمالاً منها ، واستولى بنو بويه على اصفهان والري ، ثم انعطفوا على بلاد فـارس فملكوا أرجان وما إليها. ثم استولوا على شيراز وأعمالها ، وأحاطوا باعمال الخلافـة بنواحي بغداد من شرقها وشمالها ، وكانت الخلافة قد طرقها الاعلال ، وغلب عليها الموالي والصنائع[2].

وقد تأسست هذه الدولة (320 – 447هـ) ببلاد الديلم على يد أبي شجاع بويه مؤسس دولتهم وتولى بعده أولاده الثلاثة: عماد الدولة ، أبو الحسن علـى ، وركـن الدولة أبو علي الحسن ، ومعز الدولة الحسن. وبلـغ الإخـوة الثلاثـة قمـة المجـد والعظمة، فاستولى عماد الدولة على بلاد فارس بعد مقتل مرداويج وهزيمة عبيـد ا البريدي. واستقر الأمر لركن الدولة على الأهواز ، ثم دعاه الخليفة المتقى إلي دخول بغداد أما قواد بغداد فقد طلبوا إلي معز الدولة أن يسير إليهم ويستولى على مدينتهم ،

---

[1] محمد الحضري بك ، تاريخ محاضرات الأمم الإسلامية ، وزارة المعارف ، ط1 ، 1970م ، ص 378.

[2] أبو عبد الرحمن محمد بن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، دار الكتب اللبناني ، ط 1981م ، ج4 ، ص 921.

فلما فعل قابله الخليفة المستكفي ، واحتفى به وخلع عليه ولقبه معز الدولـة ، ولقـب أخاه علياً عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وضرب القابهم على السكة[1].

وقد أصبح بنو بويه في عهد خلافة بني العباس مطلقي التصرف في العراق ، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم وانتقاص حقوقهم ، حتى أن معز الدولة أهان الخليفة المستكفي وقبض عليه ، وسمل عينيه ، وأجلس المطيع (324 – 344 هـ ـ) على عرش الخلافة ، وحدد له إقطاعات يسيرة يعيش منها تحـت تصـرف كاتـب خاص، ثم عين ابنه بختيار أميرًا للأمراء في سنة 344 هـ ـ[2] .

تربع معز الدولة على السلطنة في بغـداد اثنـين وعشـرين سـنة (334 – 356هـ ـ) استأثر فيها بالسلطة دون الخليفة الذي لم يعد له من الخلافـة إلا اسـمها ، ومد نفوذه على جميع بلاد العراق وخطب له في عمان وكانت علاقته بأخويه عمـاد الدولة علي في فارس وركن الدولة حسن في الري وهمذان وأصـبهان تقـوم علـى أساس متين من المودة والصفاء فسار الي بغداد حيث وافته منيته فـي شـهر ربيـع الاخر سنة 356هـ فخلفه ابنه أبو منصور بختيار الذي تلقب بلقب عز الدولة وكـان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة من بعده حين شعر بدنو أجله. ولكن بختيار لم يعبأ بنصائح أبيه ولم يسر على وفق السياسة التي رسمها له ، بل انصرف إلي اللهو وأخذ يناويء ابن عمه عضد الدولة وترك استشارة عمه ركن الدولة ونفي كبار الديلم طمعـاً فـي أموالهم. وفي عهده استولى الفاطميون على مصر في سنة 358هـ ، وقطعت الخطبة للخليفة العباسي ، وذكر الخليفة الفاطمي محله. وسرعان ما عزل بختيـار الخليفـة المطيع وولى الطائع الخلافة واضطربت أمور الدولة ، فالشيعة في نزاع متصل مـع أهل السنة ، والجند من الأتراك والديلم وغيرهم يلحون في طلب أرزاقهم وأصـحاب الإقطاعات التي اغتصبها بختيار حانقون ساخطون يتربصون الدوائر للنيـل منـه ، لذلك لم ير بداً من الإستنجاد بابن عمه عضد الدولة في فارس، ولما تولى ركن الدولة

---

[1] محمد مصطفى رضوان ، العلامة اللغوي ابن فارس الرازي ، دار المعارف ، مصر ، 1959م ، ص 23.

[2] المرجع السابق ، ص 24.

قصد عضد الدولة العراق وحارب بختيار وانتصر عليه وأرغمه على الفـرار مـن بغداد ، ولكن الهزيمة حلت ببختيار وأسر وسيق إلي بغداد فقتله عضد الدولة[1].

وقد وصلت قوة البويهيين الي أقصاها فـي عهـد عضـد الدولـة (367 – 372هـ) ولم يكن عضد الدولة أعظم البويهيين فحسب بل كان أعظـم حـاكم فـي زمانه، لقد طوى تحت صولجانه كل الدويلات الصغيرة التي ظهرت في عهد الحكام البويهيين في فارس والعراق ، فألف من المجموع امبراطورية كـادت تصـل فـي الإتساع إلي امبراطورية هارون الرشيد[2].

وولى الملك بعد عضد الدولة ابنه أبو كاليجار المزربان الملقب صمصام الدولة الذي اجتمع القواد بعد وفاة أبيه على بيعته. وقد مكث صمصام الدولـة قائمـاً بـأمر العراق في جو مضطرب من جراء خلاف أخيه شرف الدولة عليه ، واستيلاء الأكراد على بلاد الموصل ، فانتهز الفرصة أخوه شرف الدولة صاحب فارس ، وتجهز يريد الاستيلاء على الأهواز والعراق ، فسار بجيشه سنة (375هـ) فاستولى على الأهواز من أخيه أبي الحسن الملقب بتاج الدولة ثم سار الي البصرة فملكها ، وانتهـت مـدة صمصام الدولة بالعراق ومقدارها ثلاث سنين وأحد عشر شهراً[1]. لكن الفتن كثـرت في أواخر عهدهم وتفاقم الحال حتى تمكن طُغرل بك السلجوقي من دخول بغداد سنة (447هـ) والقضاء على أبي نصر خسر فيروز الملك الرحيم آخر سلاطين بنو بويه في العراق ، وأسس سلطانه على أنقاض سلطانهم بعد أن حكموا أكثر من قرن مـن الزمان[2].

أن البويهيين كانوا شيعة إمامية اثني عشرية ويقال إن معز الدولة فكر في نقل الخلافة إلي العلويين ولكنه تراجع عن ذلك[3] . وكان الصاحب أشهر الـوزراء فـي أواخر القرن الرابع الهجري ، وزير بني بويه بالري وكان مدبراً لأمـور الملـك ،

---

(1) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسـلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1921م ، ج3 ، ص 45 – 46.

[2] بدوي طبانة ، الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ص 30.

[1] بدوي طبانة ، الصاحب بن عباد الوزير الأديب ، ص 31.

[2] محمد مصطفى رضوان ، ابن فارس ، ص 27.

[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م ، ص 485.

وكان مؤيد الدولة الذي استوزره والذي أنشأ له ابن عباد مملكته لا يخالفه في أمر من الأمور ، بل حكمه في كل شيء وكان يجله بكل ضروب الإجلال[4].

الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع في بغداد والعراق يتألف من ثلاث طبقات: طبقة عليا على رأسها الخليفة والسلطان الحاكم ويتلوهما حواشيهما من الوزراء والقادة والأمـراء والـولاة وكبار الموظفين والإقطاعيين ، ويدخل في هذه الطبقة بعض التجـار الرأسـماليين. وطبقة وسطى تتكون من صغار الموظفين والتجار والصناع والقضاة والعلماء ورجال الحسبة ، وطبقة دنيا هي طبقة العامة من الزراع والخدم والرقيق وأصحاب الحرف ، ويسلك أهل الذمة في الطبقتين الأخيرتين عادة إلا من أرتفع منهم إلي الوزارة ، وكان ذلك يحدث نادراً كما حدث في عهد عضد الدولة ، فقد اتخذ له وزيراً نصرانياً ، هو نصر بن هرون ، الذي ترك له تدبير شؤون فارس بينما كان وزيره المدبر لشـئون بغداد والعراق المطهر بن عبد ا [1].

وكان الوزراء كثيراً ما تصادر أموالهم حتى بعد وفاتهم كما حـدث للمهلبـي وزير معز الدولة البويهي وكانوا يصادرون أحياناً تركـة بعـض الإقطـاعيين ذوي الثراء ويروي أنه في سنة (351هـ) توفي رجل اسمه دعلج تاركاً ثلثمائة ألف مثقال من الذهب فاستولى عليها معز الدولة ، ولم يمس أي مس ما خلفه من أوقاف[2].

(من أعظم المصادرات ؛ مصادرة معز الدولة لأبي على الحسن ابـن محمـد الطبري ، صادره على خمسمائة ألف دينار ، فلما مات الصيمري طمع في الـوزارة وبذل فيها مالاً عظيماً ، وقدم منها أول نوبة ثلاثمائة ألف دينار ، فلـم يـبن عليـه خروجها فأخذها وقلدها المهلبي)[3].

---

[4] آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة: محمد بن عبد الهادي أبوريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، 1966م ، ص 871.

[1] شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات ، ص 251.

[2] المرجع السابق ، ص 252.

[3] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، 1966م ، ج4 ، ص 353.

فلنا أن نتصور ضخامة الأموال التي يكتنزها الحسـن بـن محمـد الطبـري وأشباهه. وكان الوزراء يتأنقون في ملابسهم ولم يقف تأنقهم عند أنفسهم ، فقد كـانوا يطلبونه في خدمهم وحواشيهم ، وكل ما يتصل بهم من ملابـس ومطـاعم ، ومـن طريف ما يروى من ذلك ما ذكره الثعالبي عن الصاحب بن عباد من أنه كان يعجبه الخز "الحرير" ويأمر بالاستكثار منه في داره ، وألم به أبو القاسم الزعفراني يومـاً ، فرأى جميع من حوله من الخدم والحاشية يلبسون الخـزوز الفـاخرة فأنشـده علـى البديهة[1]:

كسوت المقيمين والزائرين كسا لم يخل مثلها ممكـنا

وحاشية الدار يمشـون في ضروب من الخز إلا أنا.

ونستطيع أن نقول بصفة عامة إن كل المتصرفين في أعمـال الدولـة كـانوا يعيشون معيشة بذخ على حساب الشعب الكادح.

أصبح الغلاء الطاحن من لوازم العصر ، فوصفه بعض المؤرخين مبينين أثره على العامة ، قال إبن الجوزي في أحداث عام ثمانية وعشرين وأربعمائـة: (وفـي رمضان غلا السعر ببغداد ، وورد كتاب من الموصل أن الغلاء إشتد بها حتى أكلـوا الميتة ، وكثر الموت ، حتى أحصي جميع من صلوا الجمعة فكانوا أربعمائة ، وعـد أهل الذمة في البلد فكانوا نحو مائة وعشرين)[2].

وأورد الطبري في تاريخه أيضاً نماذج لسنوات الغلاء وما بها من بلاء فقال: (وأكل الناس في يوم الغلاء النوى والميتة ، وكان يؤخذ البرز قطوناً ويضرب بالماء ويؤكل فمات الناس بأكله ، وكان الواحد يصبح الجوع ويموت! ووجدوا إمـرأة قـد شوت طفلاً حياً فقتلت)[3].

بذلك أصبحت هذه الطبقة المغلوبة على أمرها ، تحتال كل الحيل ، وتسلك كل المسالك المشروعة وغير المشروعة في سبيل ما يسد به الرمـق ، فظهـرت مهـن

---

[1] أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ، 1977م ، ج3 ، ص 195.

[2] أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار الثقافة ، بيروت ، 1359هـ ، ج8 ، ص 142.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص 375.

وحرف غير مسبوقة ، وأنتشر التسول ، فقد ظهر فيها القرادون وأصحاب الملاهـي الصغيرة والحوانيت كما نشأ فيها كثير من المهـرجين لإضـحاك الطبقتـين العليـا والوسطى ونشأ فيها كثير من راضة الخيل والسواسي وأصـحاب القـنص بالصـيد والكلاب والفهود ، ونشأت طائفة من الأدباء المتسولين المسمين بالمكتدين. ويدل دلالة قوية على ما يقابلها هذه الطبقة من البؤس والعيش المر ؛ أن كثر فيها اللصوص حتى أضحوا في أوقات كثيرة مصدر خطر كبير على بغداد(1).

وكانت الحالة الإقتصادية عاملاً جوهرياً مؤثراً في الأخلاق ففي كل بلد يكون أغنياء يملكون أسباب الإغراء ، وفقراء ضاقت بهم سبل الحاجة ، لا بد من أن يصبح الفقراء لعبة في أيدي الأغنياء ، يقضون لهم مآربهم ، ويلبون رغباتهم. وقد كان نظام الرقيق مساعداً على ذلك ، فأدي الي إنتشار اللواط والبغاء وبلغ هذا التساهل حده في عهد عضد الدولة ، حتى أنه فرض ضريبة على الراقصات وهذا ما يسـوغ حركـة الحنابلة في عام (323هـ) الذين أخذوا على عاتقهم محاربة المنكـر فـي بغـداد ، واعتراض الرجال اذا مشوا مع الصبيان والنساء(2).

ومن هذا نلاحظ أن الحياه الإجتماعية فـي جميـع جوانبهـا كانـت تحمـل المتناقضات. (ومما زاد المجتمع تفككاً ، تلك الفتن التي كانت تثـار بـين المـذاهب الدينية وأكثرها تقع بين السنة والشيعة ، رغم تسامح المسلمين بعامة مع أهل الذمـة تسامحاً لا نظير له ، أو لا يدفع الذمي سوى جزية سنوية)(1).

عرف بنو بويه بالتعصب الشديد للمذهب الشيعي ، ومن تعصـبهم إن قامـت الثورات من حين إلي حين بين السنيين والشيعة في بغداد وغيرها من أمهـات مـدن العراق(2).

وكان من أثر انقسام المسلمين في هذا العصر إلي شيع وطوائف أن تعـرض المجتمع الإسلامي إلي التفكك والتنازع. فهناك السنيون الذين كانوا يكونـون السـواد

---

(1) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف 1997م ، ج3 ، ص 64.

(2) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ج2 ، ص 168 – 169.

(1) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 64.

(2) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج3 ، ص 55.

الأعظم ويتمتعون بقسط وافر من الحرية والطمأنينة في عهد نفوذ الأتراك وفي عهد إمرة الأمراء وهناك الشيعيون الذين قاسوا كثيراً من العنت والإضطهاد ، حتى استولى بنو بويه على العراق ، فتمتعوا بشيء غير قليل من الطمأنينة في ظل البويهيين المتشيعيين، بيد أن الشيعيين انتعشوا في عهد بني بويه ، وأصبحوا يقيمون شعائرهم في شيء كثير من الطمأنينة ، وإن كانت مساكنهم لم تتعد المكان المحيط بسوق الكرخ غربي بغداد ، وقامت فتنة بين العامة في بغداد وتعطلت صلاة الجمعة في مساجد السنيين على حين أقيمت في مسجد براثا الشيعي ، ولم تلبث هذه الفتنة أن سكنت بعد أن اعتقل معز الدولة جماعة من السنيين[3].

وقد انتقل عدوى التعصب المذهبي ، إلي مذاهب أهل السنة أنفسهم قال ابن الأثير: (وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ، ومقدم الحنابلة أبو علي الفراء وابن التميمي ، وتبعهم من العامة الجمع الغفير ، وأنكروا الجهر ببسم ا الرحمن الرحيم ، ومنعوا من الترجيع في الآذان والقنوت في الصبح ووصلوا إلي ديوان الخلافة ولم ينفصل حال. وأتى الحنابلة مسجد باب الشعير فنهوا إمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفاً فقال: أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها)[1].

وظني أن هذه الفتن التي سلكت مسالك خصومات مذهبية لها تأثيرها الإجتماعي وتدل على ضعف الخلفاء وتولية الأمراء الذين يريدون أن تؤول الدول إلي ما آلت إليه ، حتى ينشغل العامة بأنفسهم. وهذا هو حال المجتمع في ظل دولة بني بويه حيث كان يعاني من الفوضي وفقدان الإستقرار وتباعد في الطبقات الشعبية، وسوء توزيع للثروة العامة وفشوء الإستغلال في الطبقات الدنيا.

الحياة الفكرية:

كان من نتائج انقسام الدولة العباسية الي دويلات أن عمد أمراؤها سواءً لأسباب سياسية أو بدافع حب الظهور أو تشبيهاً لها ببغداد إبان عزها تشجيع الحركة العلمية ورعاية أهل العلم والفكر والأدب ، وبعد أن كان نصير العلم الخليفة أو وزيره

---

[3] المرجع نفسه ، ص 431.

[1] ابن الأثير عز الدين علي بن الحسن علي بن المكرم ، الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة والنشر ، 1966م ، ج9 ، ص 614.

أو بعض عماله في بلد واحد أصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك ووزراء وأمراء في أشهر مدن العالم الإسلامي. فقد كان كثيراً من البويهيين ووزرائهم على جانب من الثقافة حتى أصبح أساس الإختيار للوزارة عندهم شيئان القدرة الإدارية ، والقدرة البلاغية. وعرف هذا العصر وزراء احتلوا مكانة مرموقة في تاريخ الأدب والبيان العربيين ، منهم الفضل بن العميد وولده أبو الفتح والصاحب بن عباد الذي جعل داره مجمعاً لجماعات الكتاب والمنشئين والمتكلمين والمتفلسفين والقراء[2] .

وكان الصاحب يشجع نحلة الإعتزال (أن الصاحب كان يبعث دعاة له أحياناً يدعون الناس إلي الدخول في نحلة الإعتزال ومن قوله في إحدى رسائله قوله: "كان هذا البلد من البلاد المستغلة على أهل عدل ا وتوحيده ، والتصديق بوعده ووعيده". وربما رأي أن الإعتزال باب للتشيع)[3].

كان جمهرة آل بويه علماء وأدباء ، وكثير منهم شعراء ، يحبون العلم والأدب، ويحثون رجالهم على التصنيف والتأليف ، يفتحون أبوابهم للشعراء ، ويغمرونهم بالعطايا والصلات ، وكانوا لذلك لا يولون الوزارة أو الكتابة أو القضاء إلا خيرة العلماء ونوابغ الكتاب ، فمعز الدولة إستوزر الحسن المهلبي الأديب الشاعر، وركن الدولة إستوزر إبن العميد ، ومؤيد الدولة ابنه استوزر الصاحب بن عباد وكذلك استوزره فخر الدولة أخوه. وكان عز الدولة ، وتاج الدولة ، وأبو العباس بن ركن الدولة شعراء ، ثم كان عضد الدولة على شاعريته نابغاً في عدة فنون ، يستحث العلماء على التأليف ، ويغمرهم بالمال ، كما كان ناقداً للشعر ، عارفاً بأساليب الكتابة. فهو في هذه النهضة أشهر ملوك آل بويه ، كما كان الصاحب بن عباد أشهر وزرائهم عالماً كاتباً شاعراً ، يقيم عنده العشرات من رجال العلم والأدب ، ويقصده منهم ومن الشعراء المئات ، فيكرم إقامة أؤلئك ، ويحسن وفادة هؤلاء[1].

---

[2] محمد الحضري بك ، تاريخ محاضرات الأمم الإسلامية ، وزارة المعارف 1970م ، ص 378.
[3] شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات ، ص 661.
[1] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج3 ، ص 37.

كان ينادم عضد الدولة بعـض الأدبـاء الظرفـاء ، ويحاضـر بالأوصـاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما إلا وأنشد فيهـا لنفسـه أولغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته بهطـه (أرز يطبخ باللبن والسمن) فنظر عضد الدولة كالآمر اياه بأن يصفها ، فارتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل فارتجل عضد الدولة وقال[2]:

بهطه تعجز عن وصفها   يا مدعي الأوصاف بالزور
كأنها في الجام مجلـوة   لآليء في مـاء كافـور

وأشعرهم عز الدولة أبو منصور بختيار ابن معز الدولة ، ومن شعره[1]:

فيا حبذا روضـتا نرجس   تحي الندامى بريحانها
شربنا عليـها كأحـداقنا   عقاراً بكأس كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا   تجر ريطاً كقضـبانها

ومنهم تاج الدولة بن عضد الدولة ، ويقال انه كان آدب آل بويـه وأشـعرهم وأكرمهم وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب وكل شعره رائق جميـل عـذب ومنه قوله[2]:

سلام علـى طـيف ألم فسـلّما   وأبدى شـعاع الشمس لما تكلما
بدا فيه مـن وجهه البدر طالعاً   لدى الروض يستعلي قضيباً منعما
وقد أرسلت أيدي العذارى نجده   عذاراً من الكافور والمسك أسحما

ولا شك أن ملوكاً هذا أدبهم ، وتلك آثار شاعريتهم لجدير بالأدب أن يزدهـر في دولتهم. ونجد الوزير المهلبي كان وزيراً لمعز الدولة وهو من نسل المهل بن أبي صفرة وكان كما يقول إبن خلكان (وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به ، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله)[3].

---

[2] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج2 ، ص 258.
[1] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج2 ، ص 260.
[2] المصدر السابق ، ص 261.
[3] شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1397هـ - 1977م ، ج1 ، ص 200.

وابن سعدان وزير صمصام الدولة ، كان له مجلس يجمع إبن زرعه الفيلسوف ومسكوية صاحب كتاب [تهذيب الأخلاق] وأبا الوفاء المهندس الرياضي الكبير ، وابن حجاج الشاعر الماجن ، وأبا حيان التوحيدي ، الذي كان له من السمر مع هذا الوزير ما جمعه في كتاب الإمتاع والمؤانسة ، وله ألف رسالة الصداقة والصديق وكان ابـن سعدان يباهي بمجلسه هذا ويفخر به على مجالس الكبراء الآخرين ، أمثال المهلبـي وابن العميد ، وابن عباد ، فيقول في أصحابه هؤلاء: (ما لهذه الجماعـة شـكل ولا نظير ... وإن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد لـيس عنده إلا أصحاب الجدل)[1] ومن هنا نرى أن هؤلاء الوزراء كانوا يتنافسـون فـي اختيار خيرة العلماء والأدباء ليكونوا حولهم.

أن مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية أخذ يعـم فـي العـراق ، إذ كـان البويهيون شيعة إمامية فأخذ المذهب ينتشر في عصرهم ، وأخذ أتباعه يتكـاثرون ، وتكاثر معهم الشعراء ومضوا ينظمون في موضوعين أساسين هما مناقب علي بـن أبي طالب رضوان ا عليه ، والموضوع الثاني بكاء الحسين وندبه واتسع ذلك حتى أصبح يوم مصرعه مأتماً عاماً في كربلاء وبغداد وهيأ لذاك أن حاكم بغداد البـويهي معز الدولة ألزم الناس في سنة 352هـ بغلق الأسواق[2].

ولمهيار الديلمي مراثي لآل علي منها[3]:

بآل علي صـروفُ الزمـان	بسطن لساني لذم الصـروف
مصابي على بعـد داري بهم	مصاب الأليف بفقد الأليـف
وليس صديقي غـير الحزين	ليوم الحسين وغير الأسـوف
هو الغصن كان كمـيناً فهب	لدى كربلاء بريحٍ عصـوف
قتيـلٌ به ثـار غل النفـوس	كما نغر الجرح حك القروف

---

[1] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1964م ، ج2 ، ص 256.

[2] شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات ، ص 370.

[3] مهيار الديلمي ، الديوان ، دار الكتب المصرية ، ط1 ، ج2 ، ص 262.

كذلك كان الصاحب بن عباد معتزلياً وقد نصر الإعتزال وقرب إليه المعتزلة وكان هو الدرع الواقي لهم في القرن الرابع ونجد أثر ذلك في شعره ومن ذلك قوله[1]:

تَعرفتُ بالعدل في مذهبي   ودان بحسن جِدالي العراق
فَكُلفتُ في الحبِ ما لم أُطق   فَقُلتُ بتَكليف ما لا يطاق

وعلى الجملة فقد خدمت الدولة البويهية العلم والأدب خدمة كبرى ، ومع أنهم فارسيو الأصل وأكثر وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس ، فقد كانوا يتعصبون في العلم والأدب للسان العربي.

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1384هـ - 1965م ، ص 254.

المبحث الثاني
حياته وثقافته

اسمه:

هو إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني[1] هكذا ساق أكثر المؤرخون نسبه ولم أعثر على ما يخالف ذلك إلا في بيتين من الشعر أبدل فيهما اسم (عباد) جد أبي إسماعيل بـ (عبد ا) وهما:

1. بيت الرستمي[2]:

يهنئ ابن عباد بن عباس بن عبد   ا نعمى بالكرامة تردفُ

2. بيت الشاعر السلامي[3]:

يا ابن عباد بن عبا   س بن عبد ا حرها

والظاهر أن هذين الشاعرين لم يقصدا من تسمية عباد بـ (عبد ا) ان اسمه كذلك ولكن استقامة الوزن وضرورة الشعر قد اضطرتهما لذلك.

كنيته:

أما كنيته فقد ذخرت كتب التاريخ التي ذكرت إسماعيل ، ومعاجم الأدب التي روت ما قيل في مدحه بتكنيته بـ (أبي القاسم) ولما مدحه أبو الرجاء الضرير[4] الشاعر بقصيدته العصماء وانتهي الي قوله[5]:

---

[1] الطاقان اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من إعمال غزوين وأصل الصاحب من طالقان غزوين لا طالقان خراسان ، ينظر وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 232.

[2] ياقوت الحموي الرومي ، معجم الأدباء ، مكتبة عيسي البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر ، ج6 ، ص 170.

[3] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج3 ، ص 282.

[4] أبو الرجاء ، الشطرنجي العروضي ، الشاعر الأهوازي ، أنظر معجم الأدباء ، ج6 ، ص 253.

إلي ابن عباد أبي القاسم الصاحب إسماعيل كافي الكفاة

فقال إسماعيل: (وا قد كنت اشتهي بأن تجتمع كنيتي وأسمي) وروي أنه دخل على الصاحب رجل لا يعرفه فقال له الصاحب أبو من؟ فانشد الرجل[1]:

وتتفق الأسماء في اللفظ والكنى كثيراً ولكن لا تلاق الخلائق

فقال له أجلس يا أبا القاسم ، وكان يقول لجلسائه: نحن بالنهار سلطان وبالليل أخوان. وإذاً فتكنية إسماعيل بهذه الكنية أمر لا شك فيه.

لقبه:

لإسماعيل بن عباد لقبان مشهوران أولهما: الصاحب: وقـد لقبـه بـه سـائر المؤرخين والكتّاب والشعراء حتى بلغ حد الاسم ، فاستعاض بعض المـؤرخين كمـا استعاض مشهور الناس عن ذكر اسمه بذكر هذا اللقب. فغلب هذا اللقب على الإسـم ويقول ابن خلكان في بيان سبب تلقيبه بذلك: (هو أول من لقب من الـوزراء ، لأنـه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليـه هـذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى علماً عليها. وذكر الصابي في كتابه [التاجي] إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه من الصبا وسماه الصاحب ، واستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به من ولي الوزارة من بعده)[2].

ويؤيد - ابن خلكان - في تعيين سبب هذا اللقب وكونه مأخوذاً من مصـاحبة ابن العميد – لفيف من المؤرخين منهم:

أ. (صحب أبا الفضل الوزير ابن العميد وأخذ عنه الأدب والشـعر ، والترسـل وبصحبته لقب بالصاحب)[1].

---

[5] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 253.

[1] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 185.

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 229.

[1] أبو الفلاح عبد الحي العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، المجلد الثالث ، ص 114.

ب. (وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة)[2].

هنالك لفيف من المؤرخين خالف في ذلك اللقب فعزوه إلي سبب آخر غير السابق.

أ. (أول من سمي بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة البويهي من الصبا ، فسماه الصاحب فغلب عليه هذا اللقب)[3].

ب. (إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا فسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده)[4].

ج. (وهو أول من سمي بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبا فسماه الصاحب فغلب ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده)[5].

د. (أنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب)[6].

ه. (أول وزير سمي بالصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبا فسماه الصاحب فغلب عليه ، ثم سمي به كل فرد ولي الوزارة حتى حرافيش زماننا حملة اللحم وأخذة المكوس!)[1].

---

[2] ابن الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، مكتبة دار المعارف ، بيروت ، ط 1977م ، ج11 ، ص 314.

[3] الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1964م ، ج1 ، ص 250.

[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ص 229.

[5] الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباس ، معاهد التنصيص ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 1367هـ / 1948م ، المجلد الرابع ، ص 110.

[6] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 173.

[1] جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب ، 1349هـ - 1930م ، ج4 ، ص 170.

قال الشيخ حسن آل يس: وما كان لي من طريق لترجيح أحد السـببين لـولا كلمة الصابي وصراحتها في اختيار سبب معين لهذا اللقب ، والصابي قـد عاصـر الصاحب واتصل به[2].

حجة هذا المقام لا يصلح للمؤرخ أن يتجاوزها بقليل أو بكثيـر وواضـح أن المعلومات التي تستند إلي المشاهد لا تعارض ولا تطرح على الأقل بمجرد قول يسند الي رواية ، أو نقل ينقل عن كتاب متأخر أيضاً. إذن من الأخذ بما يقوله الصابي في بيان سبب هذا التلقيب. ومما يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون. ممن رويت نصوصـهم فيما سبق من صيرورة هذا اللقب يعد الصاحب لقباً لكل وزير أو رئيس ومعنى هـذا أنه لقب رسمي منحه الأمير مؤيد الدولة لوزيره فورثته الأجيال بعـد مؤيـد الدولـة والصاحب لقب كبير يلقب به صاحب السلطات ومدبر شئون الرعية ولو كـان هـذا اللقب ، مشتق من مصاحبة ابن العميد لما صح تلقيب الوزراء به بعد ابـن عبـاد لا مصاحبة ابن العميد. وكانت مصاحبته لإبن العميد مصاحبة دراسة وكتابة وأدب.

ثانيهما: كافي الكفاة:

قال ياقوت: (كتب لمؤيد الدولة ... وأحسن خدمته ... وأنس منه مؤيد الدولـة كفاية وشهامة فلقبه ... كافي الكفاة)[1] ومن قول ياقوت هذا نعرف ان اللقب سياسـي وقد منح من الأمير مؤيد الدولة ، وورد في الشعر كثيراً حيث جاء في قول الشاعر:

أ. العميري قاضي قزوين أهدي إلي الصاحب كتباً وكتب معها[2]:

العميري عبد كافي الكفاة	ومن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب	مفعمات من حسنها مترعات

ب. وكتب إليه أبو منصور الجرجاني[3]:

---

[2] الشيخ حسن ال يس ، الصاحب بن عباد حياته وأدبه ، مكتبة الصاحب بن عباد ، ص 75.
[1] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 163.
[2] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج3 ، ص 198.

قل للوزير المرتجي كافي الكفاة الملتجى

إني رزقـت ولـد كالصبح إذ تبلجـا

إلى كثير وكثير من أمثال ذلك – يقول الشيخ حسن ال يس: (ومن المؤسـف جداً إننا لم نهتد إلي نص يكشف لنا سبب هذا التلقيب بالصاحب ، ولكنا على كل حال لقب مشتق من كفاءة إسماعيل السياسية والعلمية والأدبيـة ، أو مـن إكتفائـه علـى المعونة والمشاركة في إدارة شئون الدولة وتنظيم أمورها)[4].

ولادته:

ولد إسماعيل في اليوم السادس عشر من شهر ذي القعدة الحرام على ما اتفق عليه المؤرخون بأصطخر[1] وقيل بالطالقان[2] ولم يخالف في ذلك غير أبـي حيـان التوحيدي الذي ذكر أنه ولد لأربع من ذي القعدة الحرام[3].

فلا مجال للترجيح بين القولين إلا إذا أخذت الكثرة ، وهي تذهب إلي تحقيـق الولادة في اليوم السادس عشر من شهر ذي القعدة.

هذا كله تعيين يوم الولادة ، وأما تعيين السنة فقد مني بخـلاف كبيـر بـين المؤرخين يجمل بنا أن ننقل نصوصه ثم نشرح القول الراجح ، وما يؤيـد ترجيحـه على سائر الأقوال الأخرى المتضاربة.

ولادته عام (320هـ):

قال النويري: (إسماعيل بن عباد توفي في صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة)[4].

---

[3] المصدر السابق ، ص 192.
[4] الشيخ حسن ال يس ، حياته وأدبه ، ص 10 – 11.
[1] إصطخر بلدة من أجمل مدن إيران في شمال شرق شيراز ، أنظر البلازري ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 687.
[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 231.
[3] ياقوت ، معجم الأدباء ، ص 209.

ولادته عام (324هـ):

ذهب إلي ذلك السيوطي والسيد[5] حسن الصدر وغيرهم.

ولادته عام (326هـ):

ذهب إلي ذلك من القدماء ابن خلكان[1] وعبد الرحيم العباس[2] وابن العماد[3] وابن حجر[4] وغيرهم كما ذهب إلي ذلك من المتأخرين ، الزركلي والبستاني ومن التدقيق في هذه النصوص المتضاربة نستخلص الآتي:

1. لم أجد في قول النويري فصلاً بتنصيص على تعيين عام الولادة وأظن أنه أراد بياناً تقريبياً لعمر الصاحب حين وفاته.
2. لا يصح للسيوطي معارضة القول المشهور الذي رجحه المتقدمون والمتأخرون ، ومن ضمن هؤلاء الثعالبي المعاصر للصاحب الذي يلتئم قوله بالتقريب مع القول الأخير الذي ذكرناه.
3. إذاً فقد ولد ابن عباد عام (326هـ) على الأرجح.

وفاته:

توفي ليلة الجمعة الرابع والعشرون من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري[5] وترجم له في كتاب (سلم الوصول) ورقة 166 مخطوط قال: (هو الوزير الأديب ، ابن الوزير الطالقاني المتوفي بالري في الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، عن تسع وخمسين سنة)[6]. وانه لما توفى أغلقت له مدينة

---

(4) شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، السفر الثالث ، ط3 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1338هـ ، ص 108.

(5) حسن الصدر: حسن بن هادي بن محمد بن علي ، المعروف بالسيد حسن الصدري ، إمامي ، الأعلام ، ج1 ، ص224.

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 231.

(2) عبد الرحيم العباس ، معاهد التنصيص ، ج4 ، ص 111.

(3) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج3 ، ص 115.

(4) الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العصقلاني ، لسان الميزان ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، ط1 ، 1971م ، ج1، ص 314.

(5) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 231.

(6) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج4 ، 169 – 170.

الري واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج الجنازة ، وحضر مخدومه فخر الدولة ، وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس ثم حملت إلي موضع الصلاة وبعد أن صلوا عليه علقوا نعشه بالسلاسل في سقف منزل ، ورفعوه عن الأرض إلي أن حمل إلي أصبهان ودفن في قبة تعرف بباب ذرية[1].

وقد أطلقت وفاة الصاحب ألسنة شعراء العصر ، فكثرت مراثيه وطالت ، وجادت ، ورثاه الشريف أبو الحسن الرضي بقصيدة طويلة ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر نذكر منها[2]:

أَكذا المنون تُقَنطر الأبطالا	أَكذا الزمان يضعضع الأجيالا
أَكذا تُصاب الأُسد وهي مذلةٌ	تَحمي الشُبولَ* وتَمنَع الأغيالا
أَكذا تُقام عن الفَرائِس بعدما	ملأت هماهمها* الورى أَوجالا

ومضى الصاحب من الدنيا بمضيه رونق حسنها وتاريخ فضلها وخلف وراءه ثروة علمية ضخمة من مختلف العلوم.

أساتذته:

قرأ الصاحب على الكثير من علماء عصره وأدبائه وروى عنهم نذكر منهم:

1. ابن العميد:

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد. وهو فارسي الأصل من أهل مدينة (قُم) ونبغ في الكتابة والأدب حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد) رحل عن أبيه إلي آل بويه ، وتقلد

---

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 169.

[2] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج3 ، ص 332.

* شبول: جمع شبل ولد الأسد إذا أدرك الصيد ، أنظر بطرس البستاني ، قطر المحيط ، مادة شبل ، ص 1007.

* هماهمها: زئيرها وأصواتها ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، 1380هـ / 1960م ، ط3 ، ج2 ، مادة همهم ، ص 1036.

شريف الأعمال في دولتهم إلي أن تولى وزارة ركن الدولـة سـنة 328هـ ـ فساس دولته ووطد أركانها ، وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلمـاء والفلاسـفة والشعراء والأدباء وكان يشاركهم في كل ما يعملون إلا الفقه ومـا زال فـي وزارته محط الرحال وكعبة الآمال ، حتى توفاه ا سنة 360هـ[1].

وكان الصاحب بن عباد تلميذه وخصيصه وصـاحبه ، ولـذلك قـالوا :(الصاحب) ثم صار لقباً عليه ، ويعد أستاذ عصره في فن التصنيع ، وقد أقر له ببراعته وفصاحته وامتيازه كل من تصـدوا لترجمتـه ، يقـول صـاحب اليتيمة:(هو عين المشرق ولسان الجبل ، وعمـاد ملـك آل بويـه ، وصـدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة ... ويضرب به المثل في البلاغة وينتهي إليه الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مـع حسـن الترسـل وجزالـة الألفـاظ وسلاستها، الي براعة المعنى ونفاستها)[2] . لذلك نجد ان الصاحب قد تأثر به في أسلوبه.

2. أبو الحسين أحمد بن فارس:

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي ، اللغوي ، كان إماماً في علوم شتى ، خصوصاً اللغة ، فإنه أتقنها وألف كتابـه (المجمل) في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً ، وله كتـاب حليـة الفقهاء، وله رسائل أنيقة ، ومسائل في اللغة يعيي بها الفقهـاء. تـوفي سـنة تسعين وثلثمائة بالري وقيل إنه توفي سنة خمس وسبعين وثلثمائة بالمحمدية[1].

---

[1] احمد الاسكندري ومصطفى عناني ، الوسيط في الأدب العربي ، القاهرة ، ط 18 ، 1931م ، ص 209.
[2] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج3 ، 158.
[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 132.

كان أستاذاً للصاحب بن عباد واعترف له بما بلغه من درجة عالية في العلم والثقافة والأدب ، فضلاً عما بلغه من رفيع المنزلة في عـالم السياسـة والإدارة. وآية هذا الوفاء ذلك الكتاب الممتاز الذي ألفه ابن فارس فـي (فقـه اللغة وسنن العرب في كلامها) والذي لقبه بلقب تلميذه ، فسـماه (الصـاحبي) وأهداه إليه[2].

وأخذ الصاحب عنه الأدب واللغة واصطفاه واعترف لـه بالأسـتاذية والفضل وكان يقول فيه:(شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف)[3].

3. أبو سعيد الحسن السيرافي:

هو الحسن بن عبد ا المرزباني السيرافي (أبو سعيد) عالم مشارك في النحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقراءات والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة. ولد بسيراف على سـاحل البحـر مـن أرض فـارس ، ومضى إلي عمان ، ثم عاد إلي سيراف وورد إلي بغـداد ، فتـولى القضـاء وتوفى بها في رجب ودفن بمقبرة الخيزران. من تصانيفه: شرح كتاب سيبويه في النحو ، ألفات الوصل والقطع ، صنعة الشعر والبلاغة شرح مقصورة ابن دريد ، الوقف والإبتداء[1].

4. أبوبكر أحمد بن كامل:

وقد وصفه تلميذه ابن عباد قائلاً: (والقاضي أبوبكر بن كامـل ، بقيـة الدنيا في علوم شتى ، يعرف الفقه والشروط والحديث ، وما ليس من حديث ،

---

[2] المصدر السابق ، ص 133.

[3] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج4 ، ص 83.

[1] عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1414هـ - 1993م ، ج2 ، ص 561.

ويتوسع في النحو توسعاً مستحسناً ، وله في حفظ الشعر بضاعة وفي جـودة التصنيف قوة تامة وقد سمعت قدراً صالحاً مما عنده)[2].

5. **أبوبكر بن مقسم:**

وقد تحدث عنه تلميذه الصاحب وأثنى عليه حيث قال أبوبكر بن مقسـم ومافي أصحاب ثعلب[3] أكثر دراية ، وما أصح رواية منـه ، وقـد سـمعت مجالسه ، وفيها غرائب ونكت ومحاسن وطرف من بين كلمة نادرة ، ومسألة غامضة وتفسير بيت مشكل ، وحل عقد معضل ، وله قيام بنحـو الكـوفيين وقرائتهم ، ورواياتهم ولغاتهم[4].

6. **العباس بن محمد النحوي:**

العباس بن محمد أبو الفضل النحوي الملقب بـ (عرام) قال القفطـي: روى عن عبد ا بن محمد اليزيدي ، وعنه الصاحب بن عباد ، وكان رقيقـاً يتعاطي المنادمة وله رسيلات إلي جماعة في الطنز واللهو[5].

هؤلاء هم الاساتذة الذين أغترف ابن عباد من نميرهم ومنبع من منابع ثقافتـه وأدبه.

ثقافته:

لم يكن الصاحب بن عباد مقتصراً في دراسته على نـوع واحـد مـن الأدب وفروعه ، بل نهل من سائر ألوان الثقافة في ذلك العصر. ونذكر فيمـا يلـي قائمـة بفروع الثقافة التي كان يجيدها.

1. **التفسير:**

---

[2] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 279.

[3] ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء لمعن بن زائدة الشيباني ، ويعرف بثعلب ، ولد سنة 200هـ ، توفي سنة 291هـ ببغداد ، أنظر معجم الأدباء ، ج5 ، ص 146.

[4] ياقوت ، معجم الأدباء ، ص 269.

[5] السيوطي ، بغية الوعاة ، ج2 ، ص 28.

لم يسجل التاريخ بروزاً عن ابن عباد في تفسير القرآن وما يتبعه من بحوث في الغريب والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما شاكل ذلك إلا مرة واحدة ، حيث قيل له: هلا صنعت تفسيراً؟ فقال: (وهل ترك لنا علي بن عيسي[1] شيئاً) هذه عبارة تواضع ودليل على معرفته بعلم التفسير وحفلت بعض كتب الصاحب ببعض آرائه في شئون التفسير وقد أورد الشيخ حسن ال يس نتفاً من تفسير وشرح ابن عباد لبعض الآيات للإطلاع على كفاءته في هذا الموضوع[2].

2. الحديث:

يقول ابن كثير في ترجمته للصاحب: (سمع الحديث من المشايخ الجياد العوالي الإسناد ، وعقد له مجاس للإملاء فأحتفل الناس بحضوره وحضرته وجوهاً من الأمراء ، فلما خرج إليه لبس زي الفقهاء وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابه مما يعانيه من أمور السلطان ... فكان من جملة من يكتب عنه في ذلك اليوم القاضي (عبد الجبار الهمذاني)[1] وأضرابه من رؤوس الفضلاء وسادات الفقهاء والمحدثين)[2].

وذكر محسن الأمين بأنه (سمع الحديث من الأصبهانيين ، والبغداديين ، والرازيين ، وحدث وكان يحث على طلب الحديث وكتابته وقد روى الحديث أيضاً وسمعوا منه)[3].

---

[1] علي بن عيسي ، أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني ، روى عن ابن دريد ، توفي سنة 384هـ ، كان من شيوخ المعتزلة في عصره، أنظر البداية والنهاية ، ج11 ، ص 314.

[2] حسن ال يس ، حياته وأدبه ، ص 154.

[1] عبد الحبار الهمزاني: عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار ، شيخ المعتزلة ، ت ببغداد وعمره 99 سنة ، عام 448هـ ، أنظر البداية والنهاية ، ج11 ، ص 150.

[2] المصدر السابق ، ص 114.

[3] الإمام السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، تحقيق السيد حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، م5 ، ط5 ، 1420هـ - 2000م ، ص 136 – 137.

3. علم الكلام:

(كان الصاحب كثير المحفوظ حـاضر الجواب ، فصيح اللسان ، فقـد نتف من الأدب شيئاً ، وأخذ من كل فن أطرافاً ، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابتهم مهجنة بطرائقهم ، ومناظراته مشبوبة بعبارة الكتاب)[4].

وقال صاحب نزهة الألباء: (كان الصاحب يذهب إلـي مـذهب أهـل العدل)[5] وفي ذلك يقول[6]:

تَعرفتُ بالعدل في مذهبي وادان يحسن جِدالي العراق

فقد ألف كتاباً في أحكام القرآن نصر فيه الإعتزال وجود فيه. (وكـان الصاحب واحداً من أؤلئك المعتزلة أهل العدل والتوحيد ومن القـائلين بخلـق القرآن وفي كلام الصاحب ما يؤيد ذلك)[1] قوله[2]:

ولما تَناءت بالحـبيب دياره وغودرتُ ممن غار فيه على وهمِ

تَمكن منّي الشَوقُ غَير مخالِسٍ كمعتَزِلي قَـد تَمكـن من خَصـم

4. علم اللغة:

أما اللغة وعلوم الأدب ، فقل ما في علم الصاحب بها وحذقه إياها مـا شئت ، فقد كان حجة فيها كأعلامها الكبار الذين يوثـق بهـم فيمـا يقولونـه ويوردونه حتى عد في أعلام اللغة في أكثر الكتب اللغوية ، ولا حاجـة إلـي التطويل في نقل أقوال المؤرخين وآرائهم في معرفة الصاحب باللغـة ، فقـد

---

(4) ابن حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، شرح أحمد أمين وأحمد الزين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، ص 55.

(5) أبـو البركـات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، دار النهضة ، - ، 196م ، ص 238.

(6) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 254.

(1) طبانة ، الوزير الأديب ، ص 289.

(2) الصاحب ، الديوان ، ص 282.

كفانا كتابه القيم (المحيط) حيث نجد فيه الصاحب عالماً لغوياً كبيراً لا يشق له غبار[3]. هذا كاف في الدلالة على مبلغ تمكن الصاحب من اللغة ووقوفه على سائر بحوثها وفروعها وفقهها ومفرداتها الكثيرة الوافرة.

5. النحو:

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يدرس في المساجد بالبصرة والكوفة ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصرف[4]. درس الصاحب النحو على العلامة ابن فارس كما درس بعض المباحث النحوية على أبي سعيد السيرافي ، وأبي بكر ابن كامل ، وأبي بكر بن مقسم فلا غرابة إذا ما كانت للصاحب يد في هذا العلم وبراعة وتفوق ولا سيما أنه قد عد في أعلام النحو في الكتب المعدة للترجمة له ككتاب (إنباه الرواة على أنباه النحاة) للقفطي ، وكتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (للسيوطي) وأمثالها من الكتب المختلفة.

6. العروض:

كان الصاحب عالماً بعلم العروض والقوافي وقد اعترف بذلك سائر مؤرخيه والباحثين حتى خصمه أبو حيان التوحيدي حيث قال: (بأنه حسن القيام بالعروض والقوافي)[1].

فقد استطاع في سن الحادية والعشرين من عمره أن يصطدم بالعلامة اللغوي أبي سعيد السيرافي ، فثبت له خطأ في القراءة لبعض الأبيات الشعرية وكان ذلك عام (347هـ) لما سافر ابن عباد لبغداد ، وحضر مجلس درس

---

[3] ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 238.
[4] الاسكندري ، الوسيط في الأدب العربي ، ص 227.
[1] التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1 ، ص 55 – 56.

السيرافي ، حيث سمع بعضهم يقرأ الجمهرة عليه ، فقرأ: ألْمقْتَ ، فقلتُ إنما هو لمقتُ فدافعني الشيخ ساعة يعني (السيرافي) ثم رجع إلي الأصل فوجد حكايتي صحيحة واستمر القاريء حتى أنشد وقد استشهد[2]:

رسمِ دارٍ وقفتُ في طَلَله   كدتُ أقضي الغَداةَ من جلَله

فقال الصاحب: لا يجوز أيها الشيخ هذا ، والمصرعان على هذا النشيد يخرجان من بحرين لأن:

رسمِ دارٍ وقفتُ في طَلَله   فاعلاتن مفاعلن فعلن

كدتُ أقضي الغَداةَ من جلَله   مفتعلن مفعلات مفيعلن

فذاك من الخفيف ، وهذا من المنسرح. فقال: لم لا تقول الجميع من المنسرح؟ والمصراع الأول مخروم. فقلت: لا يدخل الخرم هذا البحر ، لأنه أوله (مستفعلن مفاعلن) هذه مزاحفه عنه وإذا حذفنا متحركاً أبقينا ساكناً وليس في كلام العرب إبتداءً به وإنما هو (كدتُ أقضي الغَداة من جلله)[1].

وان دل هذا على شيء إنما يدل على معرفة وبصر بهذا العلم وإلا لما حاور عالماً في منزلة السيرافي.

7. النقد الأدبي:

كان القرن الرابع عصر إزدهار هذا الفن الذي يمتاز بالعمق وسعة الآفاق ، وتحليل الظواهر الأدبية وإرجاعها الي أصولها الصحيحة. وكانت المعركة تدور حول (أبي تمام)[2] والبحتري ثم المتنبيء وخصومه ، وكسب النقد من وراء ذلك عدة كتب مثل كتاب (الموازنة للأمدي)[3] و (الوساطة بين

---

[2] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 277.

[1] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 277 – 278.

[2] حبيب بن أوس بن قيس بن الأشج بن يحي بن مروان بن مرة ، ولد سنة 190هـ ، أنظر وفيات الاعيان ، ج2 ، ص 11.

[3] الآمدي هو الحسن بن بشر بن يحي الآمدي ، يماني من الباطنية الإسماعيلية ، أنظر الأعلام ، ج2 ، ص 185.

المتنبيء وخصومه) للقاضي الجرجاني و (رسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساويء شعر المتنبيء ... إلخ)[4] كما سيأتي لاحقاً.

كان الصاحب ، صاحب دراية بالنقد الأدبي ، والسبب في ذلك لأنه تلميذ ابن العميد الذي هو من طبقة أعلام النقد ورجاله اللامعين في القرن الرابع. ولو لم يكن ناقداً لما ألف رسالة نقدية في شعر المتنبيء.

8. الطب:

قال الثعالبي: (وسمعت أبا جعفر الطبيب المعروف بالبلازري ، يقول: إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قُرة وابن زكريا لما زادا عليه ، فسألته ان يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطبيب الصاحب ونسبته في نفسي الي التزيد والتكثر ، إلي أن خطرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلي ملاحة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدل على التبحر في علمه وقوة المعرفة)[1].

وهذه شذرات من الرسالة (قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره ، وأنبأ عنه عن أحوال جسمه ، فدلتني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلي الصبر على التنقية والرفق بالتصفية ، فأما الذي يشكوه من ضعف في معدته وقلة شهوته فلأمرين: أحداهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتنفتق الشهوة

---

[4] ياقوت ، معجم الأدباء ، ص 260.
[1] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ص 204.

الصادقة وترجع العادة السابقة. والآخر أن المعدة إذا دامت علـى المطفئـات ولذت بها المبررات قلت الشهوة وقل الهضم ، ومع ذلك فلابد ممـا يطفـيء ويغذي ... إلخ)[2].

وهكذا نجد الصاحب مهتماً كل الإهتمام بدراسة الطب وفهمه والإطلاع على دقائقه وفروعه.

مؤلفاته:

إن كثرة تصانيف الصاحب وتنوع مباحثها ، وإختلاف فنونها ، لتدل بأنصـع برهان على ما آتاه ا من المواهب المنقطعة النظير. فلم يكن من أولئك الذين يلمون بالمسائل إلماماً ، ولا من الأدباء الذين يجتزئون من كل فن بطرف ، وإنما كان مـن أولئك الأفذاذ الذين يغوصون إلي قرارة المعرفة. وهذه آثـاره فـي منظـوم الأدب ومنثوره ، صناعة وتأليفاً ، ومعرفة ونقداً.

وقال الشيخ حسن ال يس (ولو عدنا إلي الحديث عـن مؤلفـات ابـن عبـاد لوجدناها من حيث الكيف مفعمة بالعلم والفائدة والجمال ، ومن حيث الكم كثيرة جمة بلغت في إحصاء بعض المتقدمين (18) مؤلفاً ، ثم ارتفع الرقم في مؤلفات المتأخرين حتى بلغ (30) و (31) و (37)[1] مؤلفاً ومن هذه الآثار:

1. كتاب المحيط في اللغة ، ذكر ياقوت[2] أنه عشرة مجلدات وقال ابن خلكـان[3] وهو في سبع مجلدات ، رتبه على حروف المعجم ، كثر فيه الألفـاظ وقلـل الشواهد فاشتمل من اللغة علي جزء متوفر.
2. كتاب ديوان رسائله عشرة مجلدات.

---

[2] الصاحب بن عباد ، رسائل الصاحب ، عبد الوهاب عزام ، د. شوقي ضيف ، دار الفكر العربي القاهرة ، ص 230.
[1] الصاحب ، الديوان ، ص 10.
[2] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 260.
[3] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص 225.

3. كتاب الزيدية.
4. كتاب الكافي – رسائل.
5. كتاب الأعياد وفصائل النوروز.
6. كتاب الإمامة ، يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي ا عنه وتصحيح إمامة من تقدمه.
7. كتاب الوزراء.
8. كتاب عنوان المعارف في التاريخ.
9. كتاب الكشف عن مساويء شعر المتنبيء.
10. كتاب مختصر أسماء ا تعالى وصفاته.
11. كتاب العروض الكافي.
12. كتاب جوهرة الجمهرة.
13. كتاب (نهج السبيل) في الأصول.
14. كتاب أخبار أبي العيناء.
15. كتاب نقض العروض.
16. كتاب تاريخ الملك وإختلاف الدول.
17. كتاب الزيدين.
18. كتاب ديوان شعره.
19. كتاب الروزنامجة.
20. كتاب الوقف والإبتداء[1].

---

[1] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 260.

الذي تم طبعها:

1. الأمثال السائرة من شعر المتنبيء ، الصاحب بن عباد ، تحقيق محمد حسن ال يس مكتبة النهضة بغداد 1965م.
2. الديوان ، إسماعيل بن عباد ، تحقيق محمد حسن ال يس ، مكتبـة النهضـة ، بغداد 1965م.
3. المختار من رسائل الصاحب بن عباد ، عبد الوهاب عزام ، د. شوقي ضـيف دار الفكر العربي ، القاهرة.
4. الكشف عن مساويء شعر المتنبيء ، تحقيق الشيخ محمـد حسـن ال يـس ، مكتبة النهضة ، بغداد 1385هـ - 1965م.
5. الإبانة عن مذهب أهل العدل ، محمد حسن ال يس ، الطبعة الثانيـة ، مكتبـة النهضة ، بغداد 1963م.
6. عنوان المعارف وذكر الخلائف ، محمد حسن ال يس ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة ، بغداد.
7. نصرة المذاهب الزيدية ، الصاحب بن عباد ، تحقيق ناجي حسـن ، بغـداد ، 1975م.

بالإضافة إلي كتب أخرى أوردها محمد حسن آل ياسين فـي مقدمـة ديـوان الصاحب وذكر بأنها مطبوعة منها:

1. التذكرة في الأصول الخمسة.
2. رسالة في أحوال عبد العظيم.

3. رسالة في الطب.
4. رسالة في الهداية والضلالة.
5. الروزنامجة.
6. الفرق بين الضاد والظاء[1].

---

[1] الصاحب ، الديوان ، ص 10.

المبحث الثالث
مساهماته الأدبية

النثر:

الصاحب بن عباد ثاني ابن العميد في حلبته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه اولع بالجناس والسجع وكان تياهاً شديد العجب بنفسه.

(أن الصاحب حقاً أستاذ ماهر من أساتذة فن التصنيع في القرن الرابع وإنه ليتخذ في هذا الفن جميع المفاتيح الموسيقية التي عثر عليها ابن العميد فهو من جهته يعني بقصر سجعاته ، فإن طالت عادل بين ألفاظها معادلات تخرج بها من شذوذ الطول إلي ما يشبه القصر ثم هو من جهة أخرى يعني بألوان البديع يحلي بها جيد أساليبه ، وقد كان يعني عناية خاصة بلوني التصوير والجناس ، ولعل ميله إلي الجناس هو الذي جعله يبدع في أوصاف الطبيعة حتى لتتحول جوانب من رسائله الي ما يشبه الشعر المنظوم ، كقوله في رسالة له: (كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله وسحب الظلام ذيوله))[1].

وكثيراً ما كان يدعوه تطلب السجع إلي استعمال الغريب الموحش ، المتنافر القبيح وقد شتم يوماً رجلاً فقال: (لعن ا هذا الأهوج الأعوج الأفلج الأفحج ، الذي إذا قام تخلج واذا مشى تدحرج ، وإذا عدا تفجفج)[2].

(وكان شديد الولع بالسجع حتى في الكلام فضلاً عن الكتابة ، وقد قيل فيه: (أنه لو رأي سجعةً تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه التخلي عنها))[1].

وقد عنى الصاحب في رسائله بالاقتباس ، ولا سيما من القرآن الكريم، فهو مولع باقتباس الألفاظ والعبارات القرآنية ، وإدخالها في مادة لغته وفي أحوال كثيرة نراه يختم الفصل في رسالته بآية من الذكر الحكيم وكما يقتبس الصاحب من القرآن

---

[1] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، ط9 ، 1965م ، ص 216.
[2] طبانة ، الصاحب بن عباد الوزير ، ص 182 – 183.
[1] حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، المطبعة البوليسية ، ص 719.

يقتبس من الشعر والأمثال ، ولكنه لا يكثر من ذاك كما عني بطول الجمل وتحليتهـا بالبديع[2].

أما رسائل الصاحب فلها قيمتان قيمة تاريخية وقيمة أدبية ، وقيمتها التاريخيـة ترجع إلي أنها سجلت طائفة من حروب بني بويه ، كما سجلت أسـماء طائفـة مـن حكامهم وقوادهم وقضاتهم. أما قيمتها الأدبية فلا ريب أن قيمتها أعظم مـن قيمتهـا التاريخية فقد تناولت موضوعات يصعب تطويعها للأساليب الأدبيـة ، مـن سـقي الأرض والخراج وأمن الطرق ، وأمور أخرى تحددها الحقـائق ، ولا يتسـع فيهـا الخيال، ويصرفها العقل ولا ينفسح فيها مجال العاطفة ، فلا يستطيع إلا كاتب قدير أن يسرد هذه الموضوعات وأشباهها في أسلوب أدبي[3].

وهذا نموذج من رسائله فنجده قد أرسل رسالة لتهنئة ببنت فقال فيها:

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وأم الابناء ، وجالبة الاصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بأخوة يتناسقون ، نجباء يتلاحقون[1]:

ولو كان النساء كمـَثل هـذي   لَفُضلَت النساء على الرِجالِ

وما التَأنيثُ لِاسمِ الشَمسِ عيب   ولا التَذكير فَخـرٌ لِلهِـلالِ

فأدرع يا سيدي اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيهـا كثـرت الذريـة ... إلخ[2]. هذه هي طريقته في كتابة الرسائل حيث نجده يعنى فيها بالبديع.

وللصاحب من التوقيعات ، وهي التعليقات الموجزة الحكيمة التي اشتهر بهـا بعض الوزراء والخلفاء والتي كان يكتبها عفو الخاطر تعليق على بعض ما كان يرفع إليه ما يشهد على علو كعبه في البلاغة وبعضها كان يقتبسه من كتاب ا ومنها:

1. وقع في رقعة استحسنها (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون).

---

[2] الصاحب بن عباد ، رسائل الصاحب ، ص ، ش.

[3] المرجع السابق ، ص ل – م .

[1] أبو الطيب المتنبيء ، الديوان ، شرح ابي البقاء العكبري ، ضبطه وصححه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ ، ج3 ، ص 18.

[2] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج3 ، ص 251 – 252.

2.كتب بعض العمال رقعة إلي الصاحب في إلتماس شغل ، وفي الرقعة (أن رأى مولانا أن يأمر بأشغالي ببعض أشغاله ، فوقع الصاحب تحتها: (من كتب أشغالي لا يصلح لأشغالي)).

3.ورفع الضرابون من دار الضرب قصة إلي الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها (في حديد بارد)[3].

وللصاحب غرر من فقر ألفاظ تجري مجري الأمثال مثل:

(من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب) ، (من كفر النعمة، استوجب النغمة) ، (من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام) ، (من غرته أيام السلامة ، حدثته ألسن الندامة) ، (من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة) ، (الضمائر الصحاح ، أبلغ من الألسنة الفصاح)[1].

الشعر:

[3] المصدر السابق ، ص 234.

[1] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج3 ، ص 243 – 244.

أما فن الشعر فإن الصاحب يسمو بالمأثور منه الي درجة عالية يطاول فيهـا الفحول ، وقد كان على حظ عظيم من المعرفة بروائع الفن الشعري ، التي كان يحفظ الكثير منها ، وكانت له دراية عميقة بأسباب جودته.

وقد فضل الثعالبي شعراء عرب الشام على شعراء سائر البلدان في قوله: (أن عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فـي الجاهليـة والإسلام ، ويرجع السبب في تبريزهم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر إلـي قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بـلاد العجـم وسـلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق ، لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم اياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ... ويذكر الثعالبي أن جماعة من أصحاب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أخبروه أنـه كان يعجب بطريقتهم المثلي التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة)[1].

لقد كان الصاحب له مقدرة كبيرة في ارتجال الشعر ، فتخال لفرط اتقانـه ، كأنه شعر معد ومهذب أعاد صاحبه النظر فيه مرات عدة بل لقد كان يسـبقهم إلـي اشطرهم وقوافيهم التي ينشدونها في حضرته فتكون تلك الأشطر هي عين ما قـالوا وذكر ياقوت أن أبا الرجاء الضرير الشطرنجي العروضي الشاعر الأهوازي قال: قدم علينا الصاحب بن عباد في السنة التي جاء فيها فخر الدولة ولقيه النـاس ، ومدحـه الشعراء ، فمدحته بقصيدة قلت فيها:

إلي ابن عباد أبي القاسم الصـ ـاحب إسماعيل كافي الكفاة

فقال الصاحب: قد كنت وا أشتهي أن تجتمع كنيتي واسمي ولقبي واسم أبـي فـي بيت! قال أبو الرجاء فلما انتهيت إلي قولي فيها:

ويشرب الجيش هنيئاً بها

قال الصاحب: يا أبا الرجاء ، أمسك! فامسكت ، فقال:

---

(1) الثعالبي ، يتمية الدهر ، ج1 ، ص 33 – 43.

ويشرب الجيش هنيئاً بهـا   من بعد ماء الري ماء الصراط

هكذا هو؟ قلت نعم! قال: أحسنت! قلت: يا مولاي ، احسنت أنت عملت أنا هذا في ليلة وأنت عملته في لحظة[1].

أما الأغراض التي عالجها الصاحب في شعره كانت جلها تدور حـول تلـك الحياة الخصبة التي كان يحياها ، وتصف ألوان المتعة التي كان يجدها في الطبيعـة وفي الحياة والأحياء ، وهي متعة لم تكن مستعصية عليه ، بل كانت طوع يمينه وبين يديه.

إن شعر المديح في شعر الصاحب قليل ، ولا يتوجه فيه إلا إلي ولي من أولياء نعمته ، وهم قليل ومنه قوله في عضد الدولة[2]:

همام رأى الدنيا سواماً فَحاطَها   لَيالي في غيرِ الزمانِ وقور

ولم يخطب الدنيا احتفالاً بِقَدرِها   فَموقعها مـن راحتَيه يسير

وقال في فخر الدولة لما بني قصره بجرجان[1]:

يا بانياً لِلقَصـرِ بل لَلعـلى   همك والفَـرقَد سـيانِ

لَم تَبنِ هذا القَصر بل صغتَه   تاجاً على مفرق جرجانِ

وهذا الشعر كما نرى وان كان في المديح إلا أننا نرى الصاحب من خلاله لا يزال متماسكاً ، فلا نقرأ فيه ذلة الخضوع والضراعة التي نقرؤها في أكثر ما نقـرأ من شعر المديح للمتكسبين من الشعراء ، ولكن كانت جل مدائحه فـي أهـل البيـت والتشيع لهم.

أما الرثاء:

فنلاحظ أن ابن عباد ليس له قصائد كثيرة في الرثاء حيث نجـدها لا تتجـاوز سبع أو عشر قصائد وجل مراثيه في أهل البيت رضي ا عنهم وأرضاهم أجمعـين ومن ذلك قوله[2]:

---

[1] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 254.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 220.
[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 288.
[2] المرجع السابق ، ص 181.

برئتُ من الأرجاسِ رهط اميةٍ   لما صح عندي من قَديم عدائِهم

ولَعنهم خَير الوصيين جهـرةً   لِكُفرِهم المعدود في شَر دائِهـم

أما الهجاء:

بالرغم من كثرة الخصوم والأعداء لابن عباد فإن قصائده قليلة فـي الهجـاء بالمقارنة مع الأغراض الأخرى ولكنه هجاء لاذع يقصـر عنـه الهجـاءون الـذين تخصصوا في النيل من الأعراض. ومن ذلك قوله في قاضٍ لم يثبـت عنـده هـلال شوال، فقال[1]:

إن قاضينا لأعمـى   أم على عمدٍ تَعامى

سرق العيد كأن الـ   عيد من مال اليتامى

وله أيضاً[2]:

يا قاضياً باتَ أعمى   عن الهلال السعـيد

أفطَرتَ في رمضانٍ   وصمتَ في يوم عيد

أما الوصف:

فقد كان الصاحب فيه من أعلام المبرزين وأوصافه تذخر بالتصوير الرائـع ، وتفيض بالتشبيهات البارعة وأكثر أوصافه في مباهج الطبيعة وفي الأزهار والثمـار وفي الخمريات وهو صاحب البيتين المشهورين اللذين هام بها البلاغيون[3]:

رق الزجاج ورقت الخمر   وتشـابها فَتَشـاكل الأمر

فَكأنمـا خمـر ولا قَـدح   وكأنما قَـدح ولا خمـر

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 286.
[2] المرجع السابق ، ص 216.
[3] المرجع نفسه ، ص 176.

أما الإخوانيات:

فإن للصاحب المقام الأوفى في صياغتها تكاد تسيل رقة لفرط ما حملته مـن ألوان الصفاء في معانيها وفي لغتها التي لا تجد فيها كلمة نابية أو لفظـاً مسـتكرهاً. ومن أمثلة اخوانياته: كتب إلي القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني[1]:

تَحدثت الركاب بِسير أَروى ... ِإلى بلَدٍ حططتُ بِه خيامي

فَكدتُ أَطير من شَـوقٍ اليها ... بِقادمةٍ كَقـادمة الحمـامِ

أما الفخر:

فمن الملاحظ أن الديوان لا يحتوي على أشعار فخرية كثيرة إذا مـا قورنـت بالأغراض الأخرى ، ومن أمثلة ذلك قوله[2]:

المجـ ـد أَجمـع ما حـوته يميني ... والفَخر يصغُر أَن يكـون خَديني

والدهر موطىء أَخمصي والناس بِذ ... لَةُ ملبسي والرأي بعض ظُنوني

والجود يركَـع خاضـعاً لأنامـلي ... والبدر يسجـد خاشـعاً لِجبيني

أما الحكم والمواعظ:

فقد شغل الديوان عدد لا بأس به ومعظمها مقتبسة من القرآن والحديث ، ومنها[3]:

احذَرِ الغيبةَ فَهي الـ ... فُسقُ لا رخصةَ فيه

انمـا المغتـاب كالآ ... كل من لَحمِ اخيـه

وقوله[1]:

إياك والحرص ان الحـرص مهلـكة ... واقنع بما هو مرزوق ومقسـوم

ما زاد حرص إمريء في رزقه وكفى ... إن الحريص على الحالين مذموم

أما الغزل:

عند شاعرنا فقد شمل مكاناً واسعاً في ديوانه وهذا نموذج من ملح غزله[2]:

---

(1) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 279.

(2) المرجع السابق ، ص 128 – 129.

(3) المرجع نفسه ، ص 171.

(1) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 173.

أَتاني البدر باكياً خَجـلاً   فَقُلتُ ماذا دهـاك يا قَمـر
قالَ غَزالٌ أَتى لِيعـزلني   بِحسنه فَالفُـؤاد منفَطـر
فَقُلتُ قُبل ترابه عجـلاً   واسجد لَه قالَ كل ذا غَرر
قَد بايعت أَنجم السماء لَه   فَلَيس لي مفـزع ولا وزر

هذه هي جل الأغراض التي تناولها الصاحب في ديوانه ، وسوف نعتمد بإذن ا في الدراسة على ما جمعه محقق الديوان بما فيه مستدركه ، ونعده كلـه ديوانـاً واحداً ونبني عليه الدراسة وقد جاءت أغراضه كما هو مبين في الجدول أدناه:

الأغراض الشعرية	عدد القصائد	عدد المقطوعات
المدح	21	44
الرثاء	6	3
الهجاء	1	37
الوصف	2	63
الاخوانيات	4	41
الفخر	1	19
الحكم والمواعظ	1	29
الغزل	-	49
العدد الكلي	321	

النقـد:

(2) المرجع السابق ، ص 231.

كان الصاحب بن عباد ناقداً في طليعة النقاد الذين يعتـد بـآرائهم ونظـراتهم الصائبة إلي الفن الأدبي ، وفي استطاعته أن يرد كل قول إلي أصله وكل سطو إلـي صاحبه. ومن أمثلة ذلك ما حدث في إحدى جلسات الصاحب يقول طبانه: أن بعـض ندمائه قالوا له يوماً: أرى مولانا قد أغار في قوله[1]:

لبسن برود الوشي لا لتجملٍ ولكن لصونِ الحسنِ بين برود

على قول المتنبيء[2]:

لَبِسن الوشي لا متَجملاتٍ ولَكن كَي يصن بِه الجمالا

فقال الصاحب: كما أغار هو بقوله[1]:

ما بالُ هذي النُجومِ حائِرةً كَأَنها العمي ما لَها قائِد

على قول العباس بن الأحنف في قوله[2]:

والنَجم في كَبِد السماء كَأنه أَعمى تَحير ما لَديه قائِد

فما أكثر حفظه ، وما أسرع استحضاره![3].

(الصاحب أعد للنقد عدته: فجالس الشعراء ، وكاثر الأدباء، وباحث الفضـلاء عشرين سنة وأخذ عن رواة المبرد وكتب عن أصحاب ثعلب عشرين سنة أخـرى ، وذكر لنا بهذه المناسبة أنه لم يجد فيمن صحب من يفهم الشعر كما يفهمه أبو الفضل ابن العميد فإنه يتجاوز نقد الأبيات إلي نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضي بتهـذيب المعني حتى يطالب بتخير القافية والوزن)[4].

ويؤكد هذا القول تلميذه الصاحب في مقدمة رسالته في الكشف عن مسـاويء شعر المتنبيء بقوله: (وأنا أقدم شذوراً سمعتها من الأستاذ الرئيس – آدام ا علاوه –

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 215.
[2] المتنبيء ، الديوان ، ج3 ، ص 220.
[1] المتنبيء ، الديوان ، ج3 ، ص 22.
[2] العباس بن الأحنف ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ط 1385هـ - 1965م ، ص 102.
[3] طبانه ، الصاحب الوزير الأديب ، ص 256.
[4] ذكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، دار الجيل ، بيروت ، ج1 ، ص 312.

في نقد الشعر تدل على ما بعدها وتنبيء عما قبلها ، وأين من يفهم الإشارة ويعلم ما ورائها من النكت الدالة. قال كنا نتذاكر في مجلسه يوماً إلي أن جـرى ذكـر قـول الشاعر:

نعتبكم يا أم عمرو بحبكم   الا انما المقلي من لا يعاتب

فاستحسنه الحاضرون وأعجبوا به وأثنوا على قائله ، فقال – أيده ا – أن من انتقاد الشعر أن ينقد ما في القافية من حركة وحرف ، فقلت: كره سيدنا السـناد فـي تغيير حركة الإشباع إذ جاءت فتحة وهي في سائر الأبيات كسـرة فقـال مـا أردت غيره)[1].

فهذا قول من له بكل طرف من أطراف الفضل طرف مؤكل ونـاظر متفقـد. قيل إن الصاحب بن عباد طمع في زيارة المتنبيء إياه بأصفهان وإجرائـه مجـرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب ، والحال حويله ، والبحر دجيلـة ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطفه في استدعائه ، ويضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يقم له المتنبيء وزناً ، ولم يجبه عن كتابه. فصيره الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، يتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعـرف الناس بحسناته وأحفظهم وأكثرهم استعمالاً لهـا ، وتمـثلاً بهـا فـي محاضـراته ومكاتباته[2].

وهكذا نبعت في نفس ابن عباد فكرة الكشف عن مساويء شعر المتنبيء تنفيساً عن الرغبة في الإنتقام من هذا الشاعر الذي طعن كبرياءه في الصميم. وقد اشـترك الصاحب بنفسه في مهاجمة المتنبيء فكتب رسالة نقد بها شعره وهي رسـالة يغلـب فيها التحامل ، ولكنها مع ذلك رسالة قيمة ، تدل على فهمه للشعر وبصره بالنقد.

---

[1] الصاحب أبو القاسم إسماعيل ، بن عباد ، الكشف عن مساويء شعر المتنبيء ، تحقيق الشيخ محمد حسن ال يس ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1385هـ - 1965م ، ص 34 – 35.

[2] الشيخ يوسف البديعي ، الصبح المنبيء عن حيثية المتنبيء ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ، دار المعارف ، 1963م ، ص 145 – 146.

يأخذ الصاحب في تعداد المعايب في بعض شـعر المتنبـيء ، فيقـول: وأول حديث المتنبيء أن لا دليل أدل على تفاوت الطبع ممن جمع الإحسان والإساءة فـي بيت واحد كقوله[1]:

بليتُ بِلى الأطلال إن لم أقف بها

وهذا كلام مستقيم لو لم يعقبه ويعاقبه بقوله:

وقوفَ شَحيحٍ ضاع في التَربِ خاتَمه

فإن الكلام إذا استشف جيده ووسطه ورديئه كان هذا الكلام من أرذل ما يقـع لصبيان الشعراء وولدان الأدباء.

وأعجب من هذا هجومه على باب قـد تداولتـه الألسـنة وتناولتـه القـرائح واعتورته الطباع بإساءة لا إساءة بعدها: سقوط لفظ وتهافت معنى ، فليت شعري ما الذي أعجبه من هذا النظم وراقه من هذا السبك ؛ لولا اضطراب في النقد وإعجـاب بالنفس[2].

وأخذ الصاحب على المتنبيء التفاصح بالألفاظ النادرة والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء أو غذي لبن ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر فمن ذلك قوله[3]:

أَيفطمه التَوراب قَبلَ فطامه ويأكُلُه قَبلَ البلوغِ إلى الأكل

وما أرى كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة شعره وعاب عليه قوله[4]:

وقَد ذُقتُ حلواء البنين على الصبا فَلا تَحسبنّي قُلتُ ما قُلتُ عن جهل

قال: وما زلنا نعجب من قول أبي تمام[1]:

لا تَسقني ماء الملامِ فَإِنني صب قَد استَعذَبتُ ماء بكائي

---

[1] المتنبيء ، الديوان ، ج3 ، ص 328.
[2] الصاحب بن عباد ، الكشف عن مساويء المتنبيء ، ص 47.
[3] المتنبيء ، الديوان ، ج3 ، ص 50.
[4] المرجع السابق ، ص 52.
[1] أبو تمام ، الديوان ، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1407هـ - 1987م ، ص 14.

والمخضرمين ، والمحدثين ، والصب على قوالبهم ، فقال: (المـلام) فخفـف علينا بحلواء البنين.

وقد أراد التشبيه بالمتقدمين إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئـذٍ مـن الإسلام (وحينئذٍ) هنا أنفر من عير منفلت.

ومن أساليبه العجيبة في التعزية عن المصيبة قوله[2] :

لا يحزِن الله الأمير فإنني   لَآخُذُ من حالاته بِنَصيبِ

ولا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا اخذ ابو الطيب بنصيب من القلق؟ أترى هذه التسلية أحسن عند الشعراء أم قول أوس[3]:

أيتُها النَفس اجملي جزعا   إن الذي تَحذَرين قَد وقَعا

وكنت أتعجب من كلام أبي يزيد البسطامي في المعرفـة وألفاظـه المعقـدة وكلماته المبهمة حتى سمعت قول شاعرنا في صفة فرس[4]:

وتُسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ   سبوح لها منها عليها شَواهد

ولم ننفك مستحسنين لجمع الأسامي في الشعر ، فاحتذى هذا الفاضـل علـى طريق الشعراء فقال[1]:

وأنتَ أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنَه   تَشـابه مولـود كريم ووالِد

فَحمدان حمدون وحمـدون حارِثٌ   وحارِثُ لُقمان ولُقمان راشد

وهذه من الحكمة التي تركها أرسطا طاليس وافلاطون لهذا الخلف الصـالح ، وليس على حسن الاستنباط قياس[2].

وأنهى الصاحب رسالته في الكشف عن مساويء شعر المتنبيء بقوله: (هذه – أيدك ا – مقدمة علقتها ليستدل بها على ما بعدها ، ولو أتيت بنظائرها مما أخرجت

---

[2] المتنبيء ، الديوان ، ج1 ، ص 49.
[3] أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1380هـ - 1960م ، ص 26.
[4] المتنبيء ، الديوان ، ج1 ، ص 270.
[1] المتنبيء ، الديوان ، ج1 ، ص 277.
[2] الصاحب بن عباد ، الكشف عن مساويء شعر المتنبيء ، ص 48 – 53.

من شعره لأضجرت القاريء وأملات السامع ، وإن دام هؤلاء الأغمار على النقار لم يعدموا الزيارة ولم يفقدوا الزيادة).

فمن شاء فليعذر ومن شاء فليلم   فللصدق أولى من وفاق البهائم[3]

هذه الرسالة تمثل صورة صادقة لمقدرة الصاحب على مزاولة فن النقد الأدبي وكانت لهذه الرسالة الموجزة التي كتبها الصاحب أثر كبير في تنشيط حركة النقد الأدبي ويؤكد ذلك الثعالبي بقوله (دارت معارك نقدية كثيرة حول المتنبيء بين خصومه الناقمين عليه أو على أدبه ، وأنصاره المتعصبين له ، وقد أفاد النقد الأدبي عند العرب من هذه التي ابتدأها الصاحب فوائد جليلة غنى بها هذا النقد ، وتعددت مناهجه ، واحتكت الآراء احتكاكاً أشعل الجذوة المستترة في النفوس ، والمواهب الكامنة في الرؤس ، ومن أمهات الآثار النقدية التي يعتز بها الفكر العربي ، وتزدان بها المكتبة الأدبية ، من آثار هذه المعركة كتاب (الوساطة بين المتنبيء وخصومه) الذي ألفه القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وقد كان الجرجاني صنيعة الصاحب كما قال الثعالبي ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في شعر المتنبيء وإظهار مساويء المتنبيء عمل القاضي أبو الحسن كتاب (الوساطة بين المتنبيء وخصومه في الشعر))[1].

---

[3] المرجع السابق ، ص 75 – 76.

[1] الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج4 ، ص 4 – 5.

الفصل الثاني

الشعر المذهبي

المبحث الأول: شعر الشيعة

المبحث الثاني: شعر المعتزلة.

أ/ شعر الخوارج   المبحث الثالث:

ب/ شعر المرجئة

المبحث الأول
شعر الشيعة

الشيعة معنىً ونشأةً:

الشيعة لغة ، تعني القوم والصحب والأتباع والأعوان[1] ، فكل قوم اجتمعوا على أمر ، فهم شيعة وكذلك الذين يتبع بعضهم بعضاً ، وإن لم يكونوا كلهم على اتفاق. وهم الأولياء ، والفرقة من الناس على حدة ، وكل من عاون إنساناً أو تحزب له ، فهو له شيعة ، ويقع على الواحد ، والإثنين ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، بلفظ واحد ، ومعنى واحد[2].

والمعنى الأصلي لهذه الكلمة. لم يتجاوز حدود المطاوعة ، والمتابعة ، ووردت هذه المعاني وغيرها في الآيات القرانية الكريمة (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ)[3]. (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ)[4]. ، (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ)[5]. وقال ابن منظور : (والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم رأيهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع)[6].

أما المدلول الإصطلاحي للكلمة: فقد غلب على كل من يتولى علياً وأهل بيته رضي ا عنهم ، حتى صار اسم لهم. وعرف الجرجاني الشيعة ، فقال: (هم الذين شايعوا علياً رضي ا عنه ، وقالوا: إنه الإمام بعد رسول ا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده)[1].

---

[1] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: إيميل بديع يعقوب ، د. محمد نبيل طريفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج3 ، ص 124.

[2] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ج3 ، ص 47 – 48.

[3] سورة الصافات ، الآية 83.

[4] سورة الحجر ، الآية 10.

[5] سورة القصص ، الآية 15.

[6] ابن منظور أبو الفضل جلال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، القاموس المحيط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410هـ - 1990م ، م8 ، مادة شيع ، ص 188- 189.

[1] علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1403هـ ، ص 69.

(الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي ا عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً ، وإما خفياً ، واعتقدوا إن الإمامة لا تخرج عن أولاده. وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيه عنده)[2].

أما عن نشأة الشيعة قال النوبختي (ت سنة 300هـ) فأول الفرق الشعية ، وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام ، المسمون شيعة علي عليه السلام ، في زمان النبي وبعده ، معروفون بإنقاطعهم إليه والقول بإمامته)[3].

(إن التشيع قد ظهر في أيام نبي الإسلام الأقدس الذي يغذي بأقواله عقيدة التشيع لعلي عليه السلام ، وأهل بيته ويمكنها في أذهان المسلمين، ويأمر بها في مواطن كثيرة ، آخرها (يوم غديرخم) 18 ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة بعد حجة الوداع)[4].

ونجد من يرجع ظهور هذه الفرقة إلي الفترة التي أعقبت وفاة الرسول وذلك نتيجة للإختلاف فيمن يخلفه على إمامة المسلمين فيزعمون أن المسلمين انقسموا إلي جماعات ثلاث بعد وفاة المصطفى ، فجماعة الأنصار ، يرون أنهم أحق بالخلافة لإيوائهم رسول ا ، ونصرهم دعوة الإسلام ، وجماعة بني هاشم ، ومعهم نفر من الصحابة الذين رأوا أن علياً أهل للخلافة ، لسابقته ، وجهاده ، وفضله ، وقرابته. وجماعة المهاجرين وورائهم السواد الأعظم من المسلمين الذين بايعوا أبا بكر الصديق رضي ا عنه بعد أن احتج على الأنصار ، يقول النبي :(الإمامة من قريش)[1].

وذهب إلي هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين وغيره في قوله: (كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه ،

---

[2] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر الشهرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1956م ، ج1 ، ص 146.
[3] أبو محمد الحسين بن موسي النوبختي ، فرق الشيعة ، تحقيق: هلموت ريتر ، ص 15.
[4] محمد حسين الزين ، الشيعة في التاريخ ، ص 20.
[1] علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ، تحقيق: هلموت ريتر ، ص 2.

وأولى أهل البيت العباس عم النبي ، وعلي ابـن عمـه ، وعلـي أولـى مـن العباس)[2].

ويرى اللواء حسن صادق إن نشأة الشيعة كفرقة عقب اجتماع السقيفة بمجـرد ان ذاع خبر البيعة لأبي بكر الصديق ... وهم يؤيدون موقف علي ومن تبعـه فـي الإمتناع عن البيعة لأبي بكر ، وتتفق جميع الآراء على ذلك ومنهم علماء الإستشراق ولكن غير الشيعة والمعتزلة ينكرون أن تكون الشيعة قد نشأت كفرقة في ذلك الزمن المبكر ويؤرخون نشأتهم بعصر جعفر الصادق (128هـ - 765م) وهشام بن الحكم (190هـ - 805م)[3].

(الشيعة أقدم المذاهب السياسية الإسلامية وقد ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان ، ونما وترعرع في خلافة علي ، إذ كلمـا اخـتلط بالنـاس إزدادوا إعجابـاً بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه. وقال آخر أن مذهب التشيع ظهر يوم وقعة الجمل، وقال ثالث بل يوم ظهور الخوارج)[4].

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية الشيعة اسم لمجموعة من الفرق الإسلامية مختلفة فيما بينها أشد الإختلاف وسبب نشأتها إعتقادهم أن علياً هو الخليفة الشـرعي بعد الرسول وقد جعلوا (للإمامة) قيمة دينية ، واعتمدوا في ذلـك علـي حـديث يزورونه ، وهو (من مات جاهلاً بالإمام الحق في عصره مات كافراً)[1].

---

[2] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط10 ، 1965م ، ص 253.
[3] اللواء حسن صادق ، جذور الفتنة بين الفرق الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 2004م ، ص 63.
[4] أحمد محمد أحمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ط مركز الملك للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط2 ، 1408هـ - 1988م ، ص 16.
[1] دائرة المعارف الإسلامية مج 14 ، R. storth man ، الشيعة ، 57.

أهم الأغراض الشعرية:

لقد أغنت حركة التشيع الشعر العربي إلي حدٍ كبير وكان الشعر الناتج عنهـا شعراً غزيراً قوياً. وسبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة مـن شـأنه أن يلهـب العاطفة ويهيجها ويثيرها. والعاطفة أكبر دعامة من دعـائم الشـعر وكـان للشـيعة عواطف بارزة قوية يرجع إليها الفضل في كثرة شعرهم.

العاطفة الأولى عاطفة الغضب ، فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه. أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الحزن على ما حلّ بهم من نكبات جسام ، وما وقع عليهم من مصائب عظام طوال حكم الأمويين والعباسيين. والعاطفة الثالثة عاطفـة الحـب الشديد لآل البيت ، هذا الحب الذي أخذ يزداد بمرور الأيام.

فموضوع الشعر عندهم سياسي مذهبي ومعانيه مشـتقة مـن هـذه الحقـوق المدعاة، وأساليبه جزلة لا صنعة فيها. وشعرهم يظهر في فنون شتى ، فهو احتجـاج وتصوير ، ومديح ورثاء ، وإبتهال إلي ا ، ثم هجـاء لأعـدائهم مـن الأمـويين والزبيريين والعباسيين ، ولكن هذه الفنون تختصر كلها في أصل واحد وهو الجهـاد الأدبي في سبيل الخلافة العلوية أو حكومة آل الرسول وأوصـيائه ذوي الحـق الإلهي المقدس عند هذا الحزب[1].

وإذا نظرنا إلي الشعر عند الشيعة وجدنا أغراضه تنحصر في الآتي:

1. المــدح:

مدح شعراء الشيعة أئمتهم بقصائد رائعة ، أظهروا فيها حـبهم وعطفهـم لآل البيت وإخلاصهم لهم وولائهم. وقد كان مدح الإمام علي رضي ا عنه يأخذ النصيب الأكبر ، ومثال ذلك ما ينسب إلي حجر بن عدي الكندي يمدح علياً يوم الجمل[1]:

يا ربنا سلم لنا عليـّا   سلم لنا المبارك المضـيا

---

[1] أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط4 ، 1966م ، ص 193.

[1] محمد سيد كيلاني ، أثر التشيع في الأدب العربي ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1947م ، ص 85.

المؤمن الموحد التقيا لا خطل الرأي ولا غـويا
بل هادياً موفقاً مهديا واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان لـه وليا ثم ارتضاه بعد وصـيا

وأخذ الشعراء يغلون في المديح شيئاً فشيئا. ومثال ذلك ما ينسب إلي الفرزدق في مدح علي بن الحسين حيث يقول[2]:

هذا الذي تَعـرِفُ البطحاء وطأَته والبيتُ يعـرِفُه والحـل والحـرم
هذا ابن خَـيرِ عـباد الله كُلهـم هذا التَقـي النَقـي الطـاهر العـلم
يكـاد يمسـكُه عـرفان راحـته ركـن الحـطيمِ إذا ما جـاء يسـتَلم
إِذا رأَتـه قـُريشٌ قـالَ قـائِلُها إِلـى مكـارِمِ هذا ينتَهـي الكَـرم
إِن عد أَهلُ القرى كانوا ذوي عدد أَو قيلَ من خير أَهل الأَرضِ قيلَ هم
ولَيس قَولُك من هـذا بِضـائِرِه العرب تَعرِفُ من أَنكَرتَ والعجـم
هذا ابن فاطمـَةٍ إِن كُنتَ جاهلَه بِجـده أَنبِياء الله قَـد خُتمـوا
بِكَفـه خَـيزران ريحـه عـبِقٌ من كَف أَروع في عرنينه شَمم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته فَمـا يكلـم إِلّا حـين يبتَسـم

وبعد أن يصف موطن الإمام ومراح صباه من أماكن مقدسة ، يصف حيـاءه ومهابته وجمال طلعته ، وإشراق غرته وعظيم وواسع إحسانه إلي النـاس ، وجعـل حبهم من الإيمان وبغضهم من الكفر وفي القرب منهم نجاة والبعد عنهم هلاك ، فهـم أئمة أهل التقى وخير أهل الأرض قاطبة.

وقد كثر مدح الشعراء لآل البيت وكان مدح آل البيت سبب في ظهور المدائح النبوية.

---

[2] الفرزدق ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1386هـ - 1966م ، ص 178 – 179.

2. الرثـاء:

الرثاء في معانيه كالمدح ، فما صح في المدح يصح في الرثاء قال ابن رشيق: (وليس بين الرثاء والمدح فرق ، إلا أن يخلط في الرثاء ما يدل على إن المقصود به ميت: كان أو عدمنا به كيت وكيت)[1].

ففي الرثاء إذ حظيت وقعة كربلاء بشعر شعرائهم ورثى الحسين وآل البيت ، وتضمن رثاؤهم النقمة والسخط على أعدائهم ، والمقارنة بين حال آل علي ، وحـال أعدائهم. ومن ذلك قول ابن عبد المنعم الحميري في رثاء الحسين[2]:

فلابكـين على الحسين ... بعوله وعلـى الحسـن

وعلى ابن عاتكة الذي ... واروه ليس بذي كفـن

تركوا بفـخ غـدوة ... في غير منزلة الوطـن

كانوا كـراماً هيجـوا ... لا طائشـين ولا جـبن

غسلوا المذلة عنهـمو ... غسل الثياب من الدرن

هدي العباد بجهـدهم ... فلهـم على ا المـنن

وكذلك ما ينسب للرباب بنت امريء القيس[1]:

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكـربلاء قـتيل غير مدفـون

سبط النبي جزاك ا صالحة ... عنا وجنيت خسران الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوى إليه كل مسـكين

وا لا ابتغي صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين

كما رثى أبو الأسود الدؤلي علي بن أبي طالب بقوله[2]:

ألا أبلغ معـاويةَ بن حـربٍ ... فَلا قَرت عـيون الشـامتينا

---

[1] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م ، ج2 ، ص 96.

[2] عز الدين إسماعيل ، في الشعر العباسي الرؤية والفن ، المكتبة الأكاديمية ، ط1 ، 1980م ، ص 49.

[1] محمد سيد كيلاني ، التشيع في الأدب العربي ، ص 90 – 91.

[2] أبو الأسود الدؤلي ، الديوان ، تحقيق: محمد حسن آل يس ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، 1418هـ ، ص 71 – 72.

أفي شهر الصيام فجعتمـونا بخير الناس طُراً أجمعـينا
قَتَلتُم خَير من ركب المـطايا وذللهـا ومن ركـب السفينا
ومن لَبِس النعالَ ومن حـذاها ومن قَرأَ المـَثاني والمـبينا
إذا استَقبلتَ وجه أَبي حسـينٍ رأَيتَ البدر راقَ الناظـرينا
لَقَد علمت قُريشٌ حـيثُ كانَت بِأَنك خَيرهـم حسباً وديـنا

ومن جيد ما قيل في رثاء آل البيت قصيدة دعبل الخزاعي[1] التي يقول فيها[2]:

مدارِس آياتٍ خَلَـت مـن تـلاوةٍ ومنزِلُ وحيٍ مقـفر العرصـات
لِآل رسول الله بِالخَيف من مـِنىً وبِالركن والتَعـريف والجمـرات
ديار علـي والحسـين وجعـفَـرٍ وحمـزةَ والسـجاد ذي الثَفـنات
ديار عفاهـا جـور كـُل منـابِذٍ ولَم تَعـفُ لِلأَيـامِ والسـنَوات
قفا نَسأَل الـدار التي خَـف أَهلُها متى عهدها بِالصـومِ والصلَوات
وأَين الأُلى شَطت بِهِم غَربةُ النَوى أَفـانين فـي الآفـاق مفـتَرِقات

وتسيطر على تائية دعبل ، صور التشيع الباكية الأنات الحزينة التـي تتفـق وأسلوبه الوجداني.

3. الهجـاء:

أكثر شعراء الشيعة من هجاء أعدائهم أمويين وعباسيين. كما هجـوا أبـابكر وعمر وعثمان هجاءً مراً ، وقالوا في ذلك كثيراً.

(فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ، ومـا اعتـرض بـين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب وعلوقه

---

[1] دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، ولد سنة 765هـ ، توفي سنة 860هـ ، أنظر الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص 339.
[2] دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، الديوان ، تحقيق: د. محمد يوسف نجم ، ط دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1962م ، ص 36.

بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محـض ، ولـيس للشـاعر فيـه إلا إقامـة الوزن)[1].

ومن أشهر من عرض بالصحابة في شعره ، السيد الحميري ، ووهو شـاعر عاش ، في أواخر الدولة الأموية وأوائل العباسية. وكان شيعياً غاليـاً ، وقـد ذكـره صاحب الأغاني بقوله :(فكان يفرط في سـب أصـحاب رسـول ا وأزواجـه ويستعمل شعره في قذفهم والطعن عليهم فتحومي شعره من هذا الجـنس وغيـره ، وهجره الناس تخوفاً وتوقياً)[2].

ومن أمثلة هذا الهجاء قول بكارة الهلالية[3]:

قَد كنت َأطمع َأن أموتَ ولا أرى   فَوقَ المنابرِ من أمية خاطـبا
فَالله أخّـر مدتـ ـي فَتَطـاولت   حتَى رأيت من الزمانِ عجائِبا
في كلّ يـوم للزمـان خطـيبهم   بين الجموعِ لآل أحمد عـائِبا

وكان مهيار الديلمي الذي عاش في القرن الرابع الهجري كثير الطعـن فـي هؤلاء الصحابة. ولكن شعره لم يهجره الناس كما هجروا شعر السيد الحميري ومـن أمثلة هجاء مهيار قوله[1]:

حملـوها يوم السقيفة أوزا   راً تخف الجبالُ وهي ثقالُ
ثم جاءوا من بعدها يسـتقيلو   ن وهيهات عثرةٌ لا تقـالُ
يا لها سـوءةً إذا أحمد قا   م غداً بينهم تفقال وقالـوا
ربع همـي عليهـم طلَلٌ با   قٍ وتَبلى الهمـوم والأطلالُ

ومن قوله أيضاً[2]:

أأ َ يـا قـوم يقضـي النبـي   مطاعاً فيعصى وما غُسلا
ويوصي فنخرص دعوى عليـ   ـه في تركه دينَه مهمـلا

---

[1] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج2 ، ص 171.
[2] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبده ، علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1412هـ - 1992م ، ج7 ، ص 230.
[3] محمد سيد كيلاني ، التشيع في الأدب العربي ، ص 93.
[1] مهيار الديلمي ، الديوان ، ج3 ، ص 16.
[2] المرجع السابق ، ص 5.

ويجتمعون على زعمهم	وينبيك سعد بما أشكلا
فيعقب إجماعهم أن يبيـ	تَ مفضولُهم يقدم الأفضلا
وأن ينزع الأمر من أهله	لأن عليا له أُهلا
وساروا يحطّون في آله	بظلمهم كلاً كلاً كلا

4. الدفاع عن حق علي:

كان الدفاع عن حق علي وآل بيته في الخلافة من أهم الأمور التي شغلت شعراء الشيعة فتناولوا هذا الموضوع وقالوا فيه كثيراً. ولم يتركوا حجة ولا دليل يثبت حقه فيها إلا أتوا به مفصلاً مشروحاً. ويعتبر الكميت[1] أول شاعر شيعي لجأ في الدفاع عن حق علي إلي الدليل والبرهان ومن قوله[2]:

وقَالُوا ورِثنَاهـا أبانـا وأُمـنَا	ومـا ورثتهم ذَاك أم ولاَ أب
يرون لَهم فَضلاً علَى الناسِ واجِباً	سفَاهاً وحق الهاشميين أوجب
ولَكن مـواريثُ ابنِ آمـنَةَ الذي	بِه دان شَرقي لَكُم ومغَـرب

ومنها[3]:

يقُولُون لَم يورث ولَولا تُراثُه	لَقَد شَرِكَت فيه بكيل وأرحب
وعك ولَخم والسكُون وحمير	وكندةُ والحيانِ بكر وتَغلب
ولاَنتَشَلَت عضوينِ منها يحابِر	وكَان لِعبد القَيس عضو مؤَرب
ولاَنتَقَلَت من خندفٍ في سواهم	ولاَقتَدحت قَيس بِها ثم أثقَبوا
وما كَانَت الأنصار فيها أذلـةً	ولاَ غُيباً عنها إذَا الناس غُيب
هم شَهدوا بدراً وخَيبر بعدها	ويوم حنَين والدماء تَصبب
وهم رائِموها غير ظَأرٍ وأشبلُوا	علَيها بِأطراف القَنَا وتَحدبوا
فَإن هي لَم تَصلُح لِحي سواهم	فَإن ذَوِي القُربى أحق وأقرب

---

[1] الكميت بن زيد بن قيس الأسدي ، ولد سنة 60 هـ ، توفي سنة 126هـ ، أنظر الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص 335.
[2] الكميت بن زيد الأسدي ، الديوان ، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000م ، ص 524.
[3] المرجع السابق ، ص 528.

فيا لك أمراً قد أشتت أموره ودنيا أرى أسبابها تتقضب

تبدلت الأشرار بعد خيارها وجد بها من أمة وهي تلعب

فإننا نرى أن الكميت قد ألف حجة قوية فهو يقول: لو لم يورث النبي لكانت الخلافة شائعة في قبائل العرب ، ولما كان القول يعني بأن الخلافة في قريش فإن قلتم بأن الخلافة في قريش ودفعتم الأنصار عنها بهذه الحجة ، فلا معنى لتقديم قريش إلا لقرابتها من الرسول ، وإذا كانت قرابتها هي الحجة التي تستند إليها فالأقرب أولى فبنو هاشم أولى من بني أمية وبني علي أولى بني هاشم.

وأيضاً نجد إن السيد الحميري حيث يذكر فضل علي يؤكد وصية الرسول له يوم غديرخم* فيقول[1]:

قام النبي يوم خُم خاطباً بجانبِ الدوحات أو حيالَها

فقالَ من كنتُ له مولىً فذا مولاه ربي اشهد مراراً قالَها

ويكرر هذا المعنى قائلاً[2]:

قد قام يوم الدوح خير الورى بوجهه للناس يستَقْبِلُ

وقال من قد كنتُ مولىً له فذا له مولى لكم مؤئلُ

5. ذكر مناقب آل البيت:

أكثر شعراء الشيعة من التغني بمناقب علي وآل بيته في شعرهم ، فكانوا كلما سمعوا منقبة قالوا فيها شعراً ولو كانت هذه المنقبة مما لا يقبله العقل.

وقد كان السيد الحميري من أكثر شعراء الشيعة ذكراً لمناقب علي.

---

* خم رجل عطار كان ينزل عند هذا الغدير ، فسمي باسمه ، والذي عرف به فيما بعد والحديث الذي قيل فبه صحيح (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) ولكن لا دليل منه على ما ذهب إليه الشيعة من إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد رسول الله مباشرة ، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، رقم 1750 ، ج4 ، ص 330.

[1] السيد الحميري ، الديوان ، جمعه وحققه وشرحه: شاكر هادي شكر ، قدم له السيد محمد تقي الحكيم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، -196م ، ص 329.

[2] المرجع السابق ، ص 304 – 305.

(كان السيد الحميري يأتي الأعمش – وهو عالم كوفي ثقة في الأخبار – فيكتب عنه فضائل علي رضي ا عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً)[1]. ثم قال: (فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمله على فرس ، وخلع عليه فوقف بالكناسة – محلة بالكوفة – ثم قال: يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليه فجعلوا يحدثونه وهو ينشدهم)[2].

ومن ذلك أنه سمع رجلاً يروي عن النبي أنه قال لعلي بن أبي طالب: إنه سيولد لك بعدي ولد ، وقد نحلته اسمي وكنيتي فقال في ذلك قصيدة طويلة نذكر منها[3]:

ألم يبلغك والأنباء تنمـي	مقال محمد فيما يؤدي
إلي ذي علمه الهادي علي	وخولة خادم في البيت تردي
ألم تر أن خولة سوف تأتي	بواري الزند صافي الخيم نجد
يفوز بكنيتي وإسمي لأني	نحلتهماه والمهدي بعدي
يغيب عنهم حتى يقولوا	تضمنه بطيبة بطن لحد

سمع السيد محدثاً يحدث أن النبي كان ساجداً ، فركب الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر رضي ا عنه : نعم المطي مطيكما! فقال النبي : (ونعم الراكبان هما) فانصرف من فوره[1] فقال في ذلك[2]:

أتى حسناً والحسين النبـي	وقد جلسا حجرةً يلعبان
ففداهما ثم حياهما	وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتَهما عاتقاه	فنعم المطيّـةُ والراكبان
وليدان أمهما برةٌ	حصان مطهرةٌ للحصان

---

[1] الأصفهاني ، الأغاني ، ج7 ، ص 276.
[2] المصدر السابق ، ص 277.
[3] السيد الحميري ، الديوان ، ص 182 – 183.
[1] الأصفهاني ، الأغاني ، ج7 ، ص 278 – 179.
[2] السيد الحميري ، الديوان ، ص 451.

وشيخُهما ابن أبي طـالبٍ ... فنعم الوليـدانِ والوالـدانِ

خليلي لا تُرجـيا واعلـما ... بأن الهدى غير ما تَزعمـانِ

وأن عمى الشك بعد اليقين ... وضعفَ البصيرة بعد العيانِ

ضلالٌ فلا تَلجـجا فيهـما ... فبئستْ لَعمركما الخَصـلتانِ

أيرجى علي إمام الهــدى ... وعثمان ما أعند المرجِـيانِ

6. النقـائض:

وهي القصائد التي تبادلها شعراء الفريقين من الشيعيين وخصـومهم وكانـت مملوءة بالشتائم والسباب ، مفعمة بالألفاظ النابية التي تنفر منها الأسماع وهي تشـبه الهجاء إلا أن الهجاء عند الشيعة تناول الأموات أكثر من الأحياء بخلاف ما كان سائد في القديم أما هذه النقائض فكانت هجاء متبادل بين شاعر وشاعر يطعن أحدهما فـي أخلاق الآخر وعرضه وشرفه وحسبه ونسبه ويتهمه بالفسق فيرد الآخر رداً فيه فحش وفيه إقذاع[1]. ومن أمثلة ذلك قول كثير[2] وكان يدين بالرجعة[3]:

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود خيلَ يقدمها اللـواء

تغيب لا يرى فيهم زمانـاً ... برضوى عنده عسلٌ وماء

فأتي علي بن الجهم وقال[4]:

ورافضةٍ تَقولُ بِشعبِ رضوى ... إِمام خاب ذِلك من إِمـامِ

إِمـام مـن له سبعـون أَلفـاً ... من الأتراك مشرعةَ السهامِ

فرد عليه البحتري بقوله[5]:

إِذا ما حصلت عليا قُريشٍ ... فَلا في العيرِ أَنتَ ولا النَفيرِ

وما رغثـاؤُك الجهـم بن بدرِ ... من الأقمارِ ثُم ولا البـدورِ

---

[1] محمد سيد كيلاني ، أثر التشيع في الأدب العربي ، ص 101.

[2] كثير هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب المشهورين به وهو صاحب عزة بنت جميل وهو من فحول شعراء الإسلام وكان غالياً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة ، توفي سنة خمس ومائة بالمدينة ، أنظر ابن خلكان ، وفياة الأعيان ، ص 547.

[3] كثير عزة ، الديوان ، جمع وتحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1391هـ - 1971م ، ص37.

[4] علي بن الجهم ، الديوان ، تحقيق: خليل مردم بك ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1963م ، ص 31.

[5] البحتري ، الديوان ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1415هـ - 1995م ، المجلد الأول ، ص 506.

ولو أعطـاك ربك مـا تمـنّى   عليه لزاد في غلظ الأيـورِ

علام هجوتَ مجتهداً علـيـاً   بما لفقتَ من كـذبٍ وزورِ

أما لك في استك الوجعاء شُغلٌ   يكفك عن أذى أهل القُـبورِ

وينسج السيد الحميري - على منوال كثير ويسير على دربه ، ويتبع خطاه بقوله[1]:

ألا حي المقيم بشعب رضـوى   وأهد له بمـنزله السـلاما

وقل يا ابن الوصي فدتك نفسي   أطلتَ بذلك الجـبل المقاما

أضـر بمعشـرٍ والـوك مـنّا   وسموك الخليفةَ والإمـاما

وعادوا فيك أهلَ الأرض طُـراً   مقامك عنهم ستين عـاما

لقد أمسى بمورق شعب رضوى   إمام عـادلٌ يتلـو إمـاما

---

[1] السيد الحميري ، الديوان ، ص 378.

خصـائص شعـر الشــيعة:

- دار شعرهم حول نصرة مذهبهم ، فجاء سياسياً وثيق الصلة بالحزب وآلامة وآماله.
- أنه شعر كثير استطاع أن يواكب أحداث الشيعة جميعها مما يجعله بمثابـة وثيقـة تاريخية.
- أتيح له أن يعبر عن أغراض مختلفة أتخذها الشيعة وسيلة إلي تحقيق هـدفهم كمـا قرر حقيقة مذهبهم بكل تفاصيله مما يجعله وثيقة مذهبية جليلة الخطر ولا سيما أنه يكمل أحياناً بعض أفكارهم.
- يعبر شعرهم عن عواطف صادقة وتنفيس عن نفوس مكلومة ومسلوبة ومغصوبة ، ويتفجعون على موتاهم وقتلاهم ويرثون أنصارهم.
- وهو شعر متمايز لتمايز الشعراء الشيعيين أنفسهم.
- ويتميز بطابع شعبي موغل في الخيال إلي حد الخرافة الأسطورية وهو أثر من آثار التطرف في المذهب والغلو في الاعتقاد ، وأيضاً أثر من آثار الإضـطهاد الشـديد الذي تعرضوا له.
- وفي شعرهم حملات على بني أمية بخاصة ، لأنهم خصومهم الذين انتزعوا حقهـم وقسوا عليهم.
- جهروا بعقيدتهم في رجعة الإمام المنتظر ، ينشر على الناس لواء الأمن ، والسلام ، والعدل ، وليخاص المسلمين من مظالم بني أمية ، ويـرد إلـي الشـيعة حقهـم المسلوب.
- احتجوا للشيعة ، فدللوا أن الخلافة حقهم وحدهم وجاءوا بأدلة دينية وعقلية.

- وهم يشيدون بحبهم لآل البيت ، ويفخرون بهم ويجدون فـي هـذا الحـب سـعادة ومثوبة.

المبحث الثاني
شعر المعتزلة

المعتزلة معنىً ونشأةً:

(عزل الشيء تعزله عزلاً ، وعزله ، فأعتزل ، وانعزل ، وتعزل نحاه جانبـاً فتنحى ، وقوله تعالى: (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) [1] معناه أنهم لما رمـوا بـالنجوم منعوا من السمع. واعتزل الشيء وتعزله – يتعديان بعض – تنحى عنه، وقوله تعالى : (وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ)[2]. أراد إن لم تؤمنوا فلا تكونوا علي ولا معي وقول الأحوص[3]:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزلُ حذَر العدى وبه الفؤاد موَكلُ

يكون على الوجهين ، وتعازل القوم ، انعزل بعضهم عـن بعـض. والعزلـة الإنعزال نفسه. يقال العزلة عبادة. واعتزلتُ القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم ... وقوم من القدرية يلقبون المعتزلة زعموا أنهم اعتزلوا فئة الضلالة عندهم يعنون أهل السنة والجماعة والخوارج[4].

(... والعزلة بالضم الإعتزال. وهو اسم من اعتزل ثم قال: والمعتزلة فرقـة من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم)[5].

يرى البعض أن نشأة المعتزلة نشأة دينية يرجع أصلها إلي واصل بن عطاء[1] إثر إنفصاله عن حلقة الحسن البصري[2] ، حينما تكلم عن مرتكب الكبيرة وجعله في

---

[1] سورة الشعراء ، الآية 212.
[2] سورة الدخان ، الآية 21.
[3] الأحوص الأنصاري ، الديوان ، تحقيق وشرح الدكتور سعديي ضناوي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998م ، ص 152.
[4] ابن منظور ، لسان العرب ، ج13 ، ص 466 ، 467.
[5] السيد محمد مرتضي الزبيدي ، تاج العروس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، -196م ، ج8 ، ص 15.
[1] هو أبو حذيفة واصل بن عطاء ولد سنة 80هـ توفي سنة 131هـ وكان تلميذا للحسن البصري له عدة مصنفات منها: المنزلة بين المنزلتين ، أنظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج7 ، ص 111.

منزلة بين منزلتين ، فلم يحكم عليه بالإيمان ، ولا الكفر ، فما كان من الحسن إلا أن طرده من مجلسه فأعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة ، وإنضم إليه قرينه عمرو بن عبيد[3] ، فقال الناس يومئذٍ فيهما اعتزلا قول الأمة ، وسمي أتباعهم بالمعتزلة[4].

(إن واصل بن عطاء مؤسس المدرسة اختلف مع الحسن البصري في مسألة مرتكب الكبيرة وأدلى برأيه فيها ، واعتزل مجلس الحسن ، وبعض من وافقه على ذلك الرأي وجلس قرب إحدي اسطوانات المسجد يشرح لهم فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي أصحابه معتزلة)[5].

ويرى البعض أن المعتزلة كانوا حزباً سياسياً كغيرهم من الأحزاب التي ظهرت في الساحة الإسلامية.

ومنهم يرى أن الإعتزال كان من قبل جماعة إعتزلوا الحسن بن علي رضي ا عنه حينما تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي ا عنه وهم أصحاب علي كرم ا وجهه ، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا معتزلة[6].

(ويرى أن أول من قام بالإعتزال هو أبوهاشم عبد ا ابن محمد بن الحنفية هذا رأي المستشرق شيبرج وملخص رأيه أن منشأ الإعتزال من أصل سياسي وأن المعتزلة الجدد المتكلمين في الأصل استمرار لميدان الفكر والنظر السياسي للمعتزلة)[1].

---

[2] هو محمد ابو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وقد اشتهر بالزهد والورع والعبادة قال عنه أبو عمر بن العلاء ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف قيل له: أيهما كان أفصح ، قال: الحسن ، توفي سنة 110هـ ، أنظر بن خلكان ، وفياة الأعيان ، ج2 ، ص 70 – 71.

[3] هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري المعتزلي وهو مولى بني تميم ، كان شيخ المعتزلة في وقته ، ولد سنة 80هـ وتوفي سنة 144هـ ، أنظر الوفياة ، ج3 ، ص 403.

[4] عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مكتبة دار التراث القاهرة ، 1900م ، ص 94.

[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 55.

[6] يحي هاشم حسن ، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الإسلامية ، مطبوعات مجمعة البحوث الإسلامية 1391هـ - 1972م ، ص 201.

[1] عباس سالم الحاج ، الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، مركز الدراسات للعالم الإسلامي ، ط1 ، 1991م ، ج10 ، ص 113.

ويرى المستشرق كوربان[2]. (أن المعتزلة هم جماعة من المفكرين نشأت في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في البصرة ، وانتشرت حركتهم إنتشاراً سريعاً وكانت بغداد مقراً لمدرستهم لمدة طويلة. ويرى هنري كوربان أنهم أول من مارس علم الكلام ، وأن مذهبهم كان في وقت من الأوقات المذهب الرسمي لأهل السنة)[3].

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ، وبالعدلية ، وأصول مذهبهم هي التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن خالفهم في التوحيد سموه مشركاً ، ومن خالفهم في الصفات سموه مشبهاً ، ومن خالفهم في الوعيد سموه مرجئاً ، ومن اكتملت له وتحققت فيه الأصول الخمسة فهو المعتزلي حقاً[4].

أهم الأغراض الشعرية:

لم يعرف المعتزلة في الشعر كما عرفوا في النثر ، فكان ما أثر من شعرهم أقل وأضعف بكثير من نثرهم ، ولم يتجاوز شعرهم المقطعات والأبيات اليسيرة ، وهذا أمر طبيعي يتناسب مع ثقافتهم.

قد نظم شعراء المعتزلة في الموضوعات الشعرية المألوفة في الشعر العربي من غزل ومدح ووصف ورثاء وحكم فهذه الموضوعات أكثر إتصالاً بالعاطفة والوجدان ، (ولكن الجديد في شعرهم هو ما يمكن أن نراه في هذا الشعر من معانٍ وأفكار جديدة أمدتهم بها ثقافتهم الغزيرة الواسعة ، ولقد كانت هذه الأفكار الجديدة التي استخدمها المعتزلة في نثرهم وفي شعرهم على السواء. فكثيراً ما نجد الشعراء

---

[2] هنري كوربان (1903 – 1978م) مستشرق فرنسي ذو نزعة صوفية إشراقية ، أتقن اللاتينية واليونانية ، والألمانية – درس الفلسفة في جامعة السربون ، تعلم العربية والفارسية ، تولى الإشراف على معهد الدراسات الإيرانية من سنة 1945 – 1954م ، أنظر عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين ، ص 335.

[3] كوربان هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة نصير مروة ، بيروت ، لبنان 1966م ، ص 169.

[4] عبد المنعم الحنفي ، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، ط3 ، 2005م ، القاهرة ، ص 605.

يقتبسون هذه المعاني ويستخدمونها! ولئن دلت على شيء ؛ فإنما يـدل علـى أنهـم وجدوا أن هذه المعاني جديدة غير مطروقة)[1]. وفيما يلي طائفة مـن موضـوعات الشعر عند المعتزلة:

1. الغزل:

هنالك أبيات متناثرة لبعض شعرائهم مثل النظام[2] مليء بأنواع من التـأثيرات التي يمكن ان يتركها مذهب من المذاهب الفكرية في الإنتاج الأدبي لصاحبه ، ومن شعر النظام الذي تتضح فيه خصائص مذهبه وملامح ثقافته قوله[3]:

يا تاركي جسد بغير فؤاد	أسرفت في الهجران والإبعاد
إن كان يمنعك الزيـارة أعـين	فادخل علي بعـلة العـواد
كيما أراك وتلك أعظـم نعمـةً	ملكت يداك بها منيـع قيادي
إن العيون على القلوب إذا جنت	كانت بليتها على الأجسـاد

فالتأثير المذهبي في هذه الأبيات واضح فهي تتضـمن الإشـارة إلـي مشكلة الروح والجسد وإلي طبيعة العلاقة التي تربط بينهما ، وكيف أن الجسد قالب للروح ، كما يستخدم كلمة (قلوب) في البيت الأخير ويقصد بها الأرواح أيضاً يدل على ذلك مقابلة الكلمتين بكلمة جسد فالنظام تسـيطر عليـه فكـرة الروح والجسد ويأخذ منهما مادة الحديث مع محبوبه.

وللنظام شعر كثير وهو مطبوع بطوابع المتكلمـين والمعتزلـة مـنهم خاصة ، إذ نراه يمزجه باصطلاحاتهم نافذاً إلي أغوار المعاني ، متصرفاً فيها

---

[1] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة إلي نهاية القرن الرابع الهجري ، ط3 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، 1959م ، ص 330.

[2] هو إبراهيم بن سيار بن هانئ أبو إسحاق النظام ، الذي كان أعظم تلاميذ الهذيل ترك البصرة – موطن نشأته – إلي بغداد بعد مدة وتوفى بها في عنفوان الشباب بين سنتي 220هـ - 230هـ ، كارل بروكلمـان ، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلي العربية د. السيد يعقوب بكر ، ود. رمضان عبد التواب ، ط3 ، دار المعارف ج4 ، ص 26.

[3] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 336.

تصرف الحاذق الفطن وملائماً بينهما إلي أبعد حدود الملاءمة يعينه في ذلـك حس دقيق مرهف وشعور رقيق حاد من مثل قوله[1]:

وشادنٍ ينطـقُ بالظّـرف	يقصر عنه منتهى الوصف
رقّ فلـو بـزت سـرابيله	علقـه الجـو من اللطـف
يجرحه اللحـظُ بتكـراره	ويشتكي الإيماء بالطّـرف

وكلمة اللطف في الأبيات لا تفهم بدقة إلا إذا عرفنا أن النظام كان يرى أن روح الإنسان جسم لطيف وما الجسد إلا آلتها ومـا الإنسـان إلا الجسـم اللطيف الذي يحتويه.

2. الفخر:

أن آرائهم وأفكارهم قد ظهرت في الفخر أكثر من الأغراض الأخرى ، وذلك لأنه ميدان الإعتزاز بما يؤمنون به ، وكان هـذا الفخـر نابعـاً مـن إعتزازهم بمهمتهم في الدفاع عن الدين ونصرته وإعلاء كلمته. وهو مضمون يغاير ما درج عليه الفخر التقليدي القائم على الأحسـاب والمـآثر والمزايـا الشخصية ، فهم يباهون بإعتزالهم ويفخرون بجهادهم. يقول بشر بن المعتمر[1] في هذا المعنى مشيداً بعلم فرقتـه ورئاسـتها ، وخطـورة شـأنهم فلـولاهم لأضطربت دعائم الدين ، يقول[2]:

إن كنتَ تعلم ما أقـو	لُ وما تقـولُ فأنت عـالم
أو كنت تجهل ذا وذا	ك فكن لأهـل العلم لازم

---

[1] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966م ، ص 432.

[1] هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي ، الذي ينحدر – فيما يبدو – من الكوفة ، ولكنه استوطن بغداد ، ونظم تعاليم المعتزلة في شعر لكي تشيع بين الناس ، توفي سنة 210هـ - 825م ، أنظر كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج4 ، ص 135.

[2] مجاهد مصطفى بهجت ، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، ط2 ، 1402هـ - 1982م ، ص 349.

أهل الرياسة مـن بينا	زعهم رياسـتهم فظـالم
سهرت عيونهم وأنت	من الـذي قاسـوه حـالم
لا تطلـبن ريـاسـة	بالجهل أنت لها مخاصـم
لـولا مقامهـُم رأيـ	ت الدين مضطرب الدعائم

المعتزلة – كما يقول بشر – هم أهل العـلم ومن أنتهت إليهم الرئاسـة فيه ، لا ينازعهم فيها إلا ظالم. على أنهم لم يكتسبوا هذا الفضـل إلا بالعنـاء والسهر والمكابدة ، فهذا شأن من طلب العلـم والتقـدم فيـه ، وهـم أخيـراً المنافحون عن عزة الدين وتماسك بنيانه ، ولولاهم لتضعضع في النفوس.

وشعوره في هذه الأبيات يتفق مع مذهبه الذي يعتد ويعتز بـه فيبـرزه ويمجده.

3. المـدح:

أثر عن بعض شعراء المعتزلة بعض أبيات ومقطوعات فـي المـدح ولكنها قليلة ومن أمثلة ذلك ما قاله النظام في شعر تتضـح فيـه التـأثيرات المذهبية من ناحية ألفاظه وأفكاره ما قاله في تلميذه الجاحظ[1]:

حبي لعمرو جوهر ثابتٌ	وحبه لي عرض زائـلُ
به جهاتي الستّ مشغولةٌ	وهو إلي غيري بها مائلُ

فهذان البيتان يشيران إشارة كاملة إلي مذهب الإعتـزال مـن حيـث الأفكار والألفاظ ؛ فالنظام يستخدم فكرة العرض والجوهر والجهات الست في تصوير علاقته بالجاحظ ؛ فإذا كان الجوهر في طبيعته هو حقيقة ثابتة يقوم بها

---

[1] د. عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة إلي نهاية القرن الرابع الهجري ، ص 345.

العرض دون أن يشوبها تغير أو تحول ، فحبه لعمرو جوهر لا يتغيـر بينمـا حب عمرو له عرض زائل يطرأ عليه التحول والتغير.

4. الهجـاء:

ليس للمعتزلة في فن الهجاء شعر ملحوظ سوى أبيات قليلـة متنـاثرة وعلى الرغم من أن المعتزلة قد تعرضوا في كثير من الأحيان لهجو الشعراء ولعل مما يدخل في باب الهجاء عند المعتزلة تلك الأبيات التي هجم فيها بشر بن المعتمر على أعداء المعتزلة من الإباضية والرافضة ، حين يقول[2]:

لسـت إباضـياً غبيـاً ولا	كـرافضـي غـرةُ الجفـر
كما يغر الآلُ فـي سبسـب	سفـراً فـأودى عنـده السفـر
كلاهما وسـع في جهـل ما	فعـالـه عـندهـما كفـر
لسنا من الحشو الجفاة الأولى	عابوا الذي عابوا ولم يـدروا
إن غبت لم يسلمك مـن تهمة	وإن رنـا فلحـظه شـرر
يعـرض إن سالمـته مـدبرا	كـأنمـا يلسـبه الـدبـر
أبلـه خـب ضـغـِن قلـبه	له احتيـال ولـه مكـر
وانتحلـوا جماعةً باسمـها	وفارقـوها فهـم البصـر
وأهـوج أعـوج ذو لـوثةٍ	ليـس له راي ولا قـدر
قد غـره في نفـسه مثـله	وغـرهم أيضاً كما غـروا

ومن هجائه للفرق الأخرى أيضاً قوله[1]:

لسنا مـن الرافضة الغـلاة	ولا من المرجئة الجـفاة

---

[2] الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1388هـ - 1969م ، ص 289 – 290.

[1] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 356.

لا مفـرطين بل نرى الصديق مقدما والمرتضى الفاروقا

وهذا البيتان يفسران – من ناحية دلالتهما على حقيقة مذهب المعتزلـة والظروف التي نشأ فيها – من أن حركة الإعتزال بدأت فـي نهايـة القـرن الأول، كأنعكاس أو رد فعل للتطرف المذهبي.

ومن موضوعات المعتزلة التي كانت صدى لأفكارهم ما قاله بعضـهم في الحكمة وفضل العلم والعقل:

1. الحكمة:

الحكمة هي خلاصة مراس الشاعر للحياة وصـراعه مـع النـاس والزمان وهي نتيجة تجارب عميقة عاشها وأنفعل بها. والمعتزلة كغيـرهم من الناس كانت لهم مع الحياة تجارب ، تعمقوا من خلالها أخلاق النـاس وطباعهم وعرفوا عن طريقها ما يكمن وراء مظاهر الحياة وأحداثها مـن خير وشر ؛ فسجل شعراؤهم ما أوحت به هذه التجارب من آراء في الناس وفي الحياة. قال واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فيما روى له من شعر[1]:

تحامق مع الحمقي إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقـل إن كنـت ذا عقل
فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل

إن واصلاً لطول مراسه للناس ، وخبرته لأحوالهم ، قد اسـتخاص تلـك الحكمة التي تضع لنا قانوناً بمعاملتهم ؛ فالإنسان العاقل يجـب ألا يـتحكم بمنطق العقل في معاملته للحمقى من الناس ؛ بل عليه أن يكـون أحمـق

[1] ياقوت ، معجم الأدباء ج19 ، ص 247.

مثلهم حتى يستطيع أن يسلم من شرهم ، ومن حماقتهم لأن الحمقى أغبياء جهلاء ، لا يقدرون للعقل قدره ، ولا يعرفون له قيمته ، لذلك فإن العاقـل يشقى بعقله معهم إذا هو حاول أن يجعل من عقله أساساً لمعاملتهم.

2. فضل العلم:

للمعتزلة إحساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره في حيـاة النـاس ؛ لأنهم قد بنوا كيانهم على أساس من العلم ، ودافعوا عن ديـنهم ومبـادئهم بسلاحه ، ولم يتح لهم في كفاحهم ما أتيح من نصر وتفوق إلا لأنهم كانوا علماء يؤيدون قضاياهم الدينية ومذاهبهم الكلامية بالدليل والمنطق[1] لـذلك سجل بعض شعرائهم قيمة العلم من ذلك قول الجاحظ[2]:

يطيب العيشَ أن تَلقى حكيماً	غَذاه العلم والظَن المصيب
فَيكشفُ عنك حيرةَ كُل جهل	فَفَضلُ العلمِ يعرفُه الأَريب
سقام الحـرصِ لَيس لَه دواء	وداء الجهل لَيس لَه طَبيب

فهذه عاطفة إنسان يعتز بالعلم ويعرف فضله ويقدر نفعه وأثره ، فهـو يقول: إن طيب العيش في أن يلقى الإنسان حكيماً غذاه العلم فيكشف عنـه حيرة الجهل فإن فضل العلم لا يعرفه إلا الأريب ؛ ثـم يقـول أن هنالـك شيئين لا يبرأ المصاب بهما ؛ داء الحرص وداء الجهل.

وأيضاً يقول: القاضي الجرجاني من رجـال القـرن الرابـع الهجـري ، وصديق الصاحب بن عباد عن فضل العلم والعلماء[3].

يقولون لي فيك إنقباض وإنمـا	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

---

(1) عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 337.

(2) الإمام الحافظ أبابكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1997م ، ج2 ، ص 210.

(3) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج4 ، ص 25.

وما زلت منحازاً بعرض جانباً	مـن الذم أعتد الصـيانة مغـنما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى	ولكن نفس الحـر تحتمل الظـما
ولم أقض حقا العلم إن كان كلما	بدأ طمـع صـيرته لـي سلـما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكـن لأُخـدما
أ أشقى به غرساً وأجنيه ذلـةً؟!	إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس تعظـما
وكـن أذلـوه فهـان ودنسـوا	محياه بالأطماع حتى تجـهمـا

3. فضل العقل:

للمعتزلة إحساس بقيمة العقل ؛ فقد كانوا يمجدونه ويقدسون أحكامه ولا يعتبرون أي شيء صحيحاً ما لم يكون العقل قد قضى به وأقره.

وبشر بن المعتمر شاعر المعتزلة يتحدث عن قيمة العقل في قصـيدته التي تفرد في موضوعها وهو الحيوان فيقول[1]:

لله در العقـل من رائـدٍ	وصاحب في العسرِ واليسرِ
وحاكمٍ يقضي على غائبٍ	قضـيةَ الشـاهد للأمـرِ
بذي قوى قد خصـه ربه	بخالـص التقديس والطـهرِ

فالعقل مقدس وفضله كبير في الفصل بين الخير والشر ، وهو يشـير إلي نظرية القبح والحسن العقليين ، وتعنـي أن القـبح والحسـن ذاتيـان يدركهما ويميزهما العقل.

ان شعر المعتزلة يصور جانباً من مبادئهم كما يتضـمن رأيهـم فـي مذاهب بعض الفرق الأخرى ، فمن ذلك قول بشر بن المعتمـر ، يـذكر

---

[1] الجاحظ ، الحيوان ، ج6 ، ص 292.

الخوارج بفضل علي بن أبي طالب الذي يناصبونه العداء ويكفرونه عليهم فيقول[2]:

ما كان في أسلافهم أبو الحسن　　　ولا ابن عباس ولا أهل السنن

غر مصابيح الدجـى مناجـب　　　أولئـك الأعـلام لا الأعارب

كمثل حرقوص ومن كحرقوص　　　فقعةُ قـاع حـولها قصـيص

ليس من الحنظل يشتار العسل　　　ولا من البحور يصطاد الورل

هيهـات ما سـافلةٌ بعـالِيةٌ　　　ما معـدن الحكمة أهلُ البادية

وقد صور لنا أحد شعراء المعتزلة – وهو صفوان الأنصاري – جهاد المعتزلة في دعوتهم كما كشف عن بعض مبادئهم في قصيدته التي يتحدث فيها عن رأس من رؤوس المعتزلة وهو واصل بن عطاء فيقول[1]:

له خلف شعب العين في كل ثغرة　　　إلي سوسها الأقصى وخلف البرابرِ

رجالٌ دعاةٌ لا يفـل عزيمهـم　　　تهـكـم جـبار ولا كـيد ماكـرِ

إذا قالوا مروا في الشتاء تطاوعوا　　　وإن كان صيفاً لم يخف شهر ناجرِ

بهجـرة أوطـانٍ وبـذلٍ وكلفـة　　　وشـدة أخطـارٍ وكـد المسـافرِ

وما كان سحبان يشـقّ غبارهـم　　　ولا الشدق من حي هلال بن عامرِ

تلقب بالغـزال واحـد عصـره　　　فمن لليتـامى والقـبيل المكـاثرِ

ومن لحروري وآخـر رافـضٍ　　　وآخـر مـرجـيً وآخـر حـائرِ

وأمرٍ بمعـروفٍ وإنكـار منـكرٍ　　　وتحصين دين الله من كـل كافـرِ

---

[2] محمد مصطفى هدارة ، إتجاهات في الشعر العربي ، دار المعارف 1963م ، ص 331.

[1] محمد مصطفى هدارة ، إتجاهات في الشعر العربي ، ص 330.

أما شعرهم في الرد على مخالفيهم فيغلب عليه بالضرورة طابع الإحتجاج ولكنه مع ذلك لم يكن خالياً من نبض الشعر في كثير من الأحيان.

يقول سليمان الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصاري في الرد على ما ذهب إليه بشار بن برد في القول بأن إبليس أفضل من آدم ، لأن النار أفضل من التراب يقول[2]:

لابد للأرض إن طابت وإن خبثت	من أن تحيل إليها كل مغروس
وتربة الأرض إن جيدت وإن قُحطت	فحملها أبداً في إثر منفوس
وبطنها بفلز الأرض ذو خبر	لكل ذي جوهر في الأرض مرموس
وكل آنيةٍ عمت مرافقها	وكل منتقد فيها وملبوس
وكل ماعونها كالملح مرفقة	وكلها مضحك من قول إبليس

(لقد أغنى المعتزلة الأدب من حيث المعاني وقوة العقل وسعة الذهن وتوليد الأفكار العقلية والنظر إلي الكون وإلي الطبيعة وإجراء التجارب عليها ودلالتها على خالقها ، وغاصوا على المعاني غوصاً ، ونقلوا الأدب من لفظ رشيق إلي معني عميق ومن عبارات مجملة منمقة إلي موضوعات واسعة مذهبة وبعد إن كان الأدب خلواً من الموضوع جعلوا له موضوعاً فمن موضوعه الحيوان والبخلاء والإماء والغيان والتجار والمعلمون إلي غير ذلك من موضوعات لم تكن في الأدب قبل المعتزلة ووجهوا الذهن وجهات لم تكن قبلهم)[1].

ومن ثم نستخلص أن أهم موضوعات الشعر عند المعتزلة تأخذ وجهتين:

---

[2] عز الدين إسماعيل ، في الشعر العربي ، ص 235.

[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1935م ، ج3 ، ص 314.

1. وجهة عامة: وهم ينظمون فيما ينظم فيه غيرهم من موضوعات الشعر وأغراضه.
2. ووجهة خاصة: فهم ينظمون في الإحتجاج لآرائهم الكلامية وفيما يتصل بها من بعض المباحث في الطبيعة.

خصائص شعر المعتزلة:

- أن شعر المعتزلة قليل ويرجع ذلك إلي طبيعة تكوينهم الثقافي. ولما كان جل نشاط المعتزلة الفكري قائماً على المناقشة والجدل والنظر في الأدلة وإستخدام الأقيسة المنطقية والبراهين العقلية ، وما إلي ذلك مما يناسب طبيعة الهدف الذي يرمون إليه وهو تقرير عقائدهم والدفاع عن دينهم ، لذلك كان النثر أنسب من الشعر لخلوه من قيود الوزن والقافية.
- أن الشعر الذي أثر عن المعتزلة كان ينقسم من ناحية موضوعاته إلي قسمين:

أ. قسم عالج فيه أصحابه معظم الموضوعات التقليدية المعروفة في الشعر العربي من غزل ومدح وفخر وهجاء ، وهذا القسم تبدوا فيه من حين إلي آخر بعض التأثيرات المذهبية التي تتمثل في إستخدام بعض الألفاظ والأفكار الخاصة بمذهب المعتزلة.

ب. قسم تتصل موضوعاته إتصالاً مباشراً بالإعتزال كمذهب.

- لم يكن في شعر المعتزلة – بصفة عامة – قيم شكلية جديدة يمكن ردها إلي التأثير المذهبي إذا إستثنينا من ذلك بعض المصطلحات التي كان يستخدمها

بعض الشعراء من حين إلي آخر وذلك كألفـاظ: العلـة والسـبب والجـوهر والعرض وما إلي ذلك.

- شعرهم لا يعدوا أن يكون مقطوعات وأبياتاً يسيرة متناثرة.
- نجد في شعرهم أثر للثقافة اليونانية ومعانيها قد سرت إلي الأدب العربي عـن طريق المعتزلة وذلك باستخدام الشعراء لتلك الأفكار التي طرقوها.

المبحث الثالث
(أ) شعـر الخـوارج

الخوارج معنىً ونشأةً:

الخوارج لغة مأخوذ من الخروج مصدر خرج ولهذا الأصل تصاريف رجـع لها ابن فارس إلي معنيين الأول: النفاذ عن الشيء ، والثاني: إختلاف لونين[1].

فمن الأول: الخراج والخرج: الأتاوة ، لأنه مـال يخرجـه المعطـي. ومنـه الخارجي وهو الرجل المسود بنفسه من غير أن يكون له قديم ، كأنه خرج بنفسه[2] ، ومنه قول كثير عزة[3]:

أبا مروان لست بخارجي   وليس قديم مجدل بإنتحال

ومن الثاني: الخرج لونان: من سواد وبياض ، ومنه: أرض مخرجة: إذا كان نبتها في مكان دون مكان[4].

ولعل التصاريف العائدة إلي المعنى الأول من الأليق أن يعاد بها إلـي معنـى الظهور والبروز ، ولذا يقال: خرجت خوارجه ، أي ظهرت نجابته ويوم الخـروج:

---

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1411هـ - 1991م ، ج2 ، ص 175.

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، باب الجيم فصل الخاء ، ص 250.

(3) كثير عزة ، الديوان ، ص 231.

(4) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج2 ، ص 176.

أي يوم العيد ، وخرج فلان في العلم وفي الصناعة خروجاً ، إذا نبـغ ، وخرجـت السماء: أصحت وانقشع عنها الغيم[5].

ولا يخفى إن كلمة الخوارج التي نحن بصدد بيانها تعود إلـي المعنـى الأول الدال على النفاذ أو على البروز والظهور.

لقد اختلف الباحثون في سبب تسمية هذه المجموعة من الناس ، التي شـكلت فيما بعد حزباً سياسياً ثم فرقة مذهبية بـ (الخوارج) ومفردها خارجي فمن كتب مـن المسلمين في الفرق الإسلامية تناول هذه التسمية من مفاهيم السياسة الشرعية ، وهـو الخروج على الإمام ، أو على جماعة المسلمين وإمامهم ، وبذا قال الشهرستاني: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، يسمى (خارجياً) سواءً كـان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان)[1].

فجاءتهم هذه التسمية ، من خروجهم على الخليفة الرابع ، علي بن أبي طالـب رضي ا عنه فيزعمون أنه من الخروج في سبيل ا تعالى ، وهو الخـروج الـذي عنته الآية الكريمة: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[2].

ولذا فقد تردد في أشعارهم على سبيل الفخر والإعجاب ، ومن هؤلاء الـذين أنزلوه هذه المنزلة ، شاعرهم سميرة بن الجعد[3]:

فمن مبلغُ الحجاجَ أن سميرةً قلى كُل دينٍ غير دينِ الخَوارجِ

وكذاك الأصم الضبي[1]:

النافرين على منهاجِ أولهم من الخَوارجِ قبلَ الشَك والريبِ

---

[5] الفيروز أبادي ، القاموس ، ج1 ، ص 192.
[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 114.
[2] سورة النساء ، الآية 100.
[3] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1963م ، ص 122. واسمه في فتوح ابن أعثم (سبرة بن الجعد) وعلى هذا تجيء لفظة (سميرة) في البيت الأول بمعنى من يسمر عنده وقد يكون تصغيراً لسمرة ، وهي ضرب من الشجر ، والعرب تسمي بالشجر ، حسبك طلحة.
[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 125.

وقد عرفوا بأسماء أخرى غير (الخوارج) وأغلبها واكب أحداثاً ، في أمـاكن مختلفة ، فأشتقت منها تلك الأسماء ، فسموا (الحرورية) نسبة إلي البلدة التي اعتزلوا بها ، بعد مفارقتهم جيش علي كرم ا وجهه وقد أورد المبرد في كامله قولـة علـي رضي ا عنه (أنتم حرورية لإجتماعكم في حروراء)[2] ، وعرفوا (بالمحكمـة)[3] ، لما رفضوا التحكيم ورفعوا شعارهم (لا حكم إلا).

وأحب الأسماء إليهم (الشراة) جمع شار ، أي الذين يشرون أنفسـهم إبتغـاء مرضاة ا [4]. وهو ترداد للآية القرآنية الكريمة: (وَمِنَ النَّـاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَـهُ ابْتِغَـاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)[5]. ولذا أكثروا من ترديده على ألسنتهم.

وهذا زعيم الخوارج المخلوع معدان بن مالك الأيادي ، يحدد ملامح الشراة في شعره ويبعد القعدة عن تلك المجموعة ... فالشاري لا يقعد عن الجهاد[6]:

سلام علٰى من بايع اللّه شارياً ولٰيس على الحزبِ المقيمِ سلام

ويرجع بعض الباحثين بدء ظهور الخوارج إلي عام 37هـ - حيـث كانـت الفتنة الكبرى في أعقاب معركة صفين والتحكيم – ولكن أكثر المـؤرخين المحققـين يرجعون نشأتهم الأولى من إلي ما قبل ذلك التاريخ فيذهبون إلي أن جـذور مـذهب الخوارج تمتد إلي عهد النبوة ويكاد الإجماع ينعقد بين الكتاب على إختلاف مشاربهم وعصورهم على أن ظهور الخوارج من حيث هم فرقة متميزة ، إنما كان في عهـد علي بن أبي طالب رضي ا عنه وعلى وجه التحديد في أعقاب التحكيم[1].

---

[2] أبو العباس المبرد ، الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1936م ، ج3 ، ص 182.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج5 ، ص 55.

[4] دائرة المعارف الإسلامية ، ج8 ، ص 471.

[5] سورة البقرة ، الآية 207.

[6] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 31.

[1] عبد الفتاح أحمد ، الفرق الإسلامية واصولها الإيمانية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1992م ، ج2 ، ص 20.

أهم الأغراض الشعرية:

شعر الخوارج القول الفصل فيه أنه أصدق صورة أدبية لمذهب ديني سياسي ، لا يشاركه في هذا الوصف شعر آخر ، لذلك كان أدبهم هو الأدب الإسلامي القوي الجديد. وأن شعراء الخوارج كانوا هم الزعماء وأصحاب المذهب ، وهم المجاهدون حملة السيف ، وهم أنفسهم الشعراء ذوو الموهبة واللسان فكان شعرهم يصدر مباشرة عن نفوس صادقة مسلمة ، عاملة ، فصيحة ، لذلك كان شعرهم حراً خالصاً بخلاف غيرهم وأن الخوارج الشعراء فرغوا في الغالب لفنهم السياسي فلم يرتزقوا بالشعر وقد فنيت عصبياتهم القبلية والجنسية في عقيدتهم المذهبية وشعر الخوارج جديد في موضوعاته فهو شعر مذهب حديث أوجده الإسلام من أساسه ، وغزاه بأصوله السياسية والدينية وهو جديد في معانيه إذ كانت الأراء والبراهين إسلامية جديدة من القرآن والسنة لا تمت إلي الجاهلية بسبب[1].

يكاد شعر الخوارج كله يذهب في عدة أغراض محددة يجمعها الجهاد في سبيل العقيدة وقد ألهمهم هذا الجهاد وإن لم تلهمهم تلك المباديء المجردة التي جاهدوا من أجل تحقيقها وشعرهم يذهب في مجموعه في تصوير حروبهم وتمجيد أبطالهم وقوادهم والإشادة بشجاعتهم وتفانيهم في الإستشهاد وطلب الثواب والجنة جزاء جهادهم. فشعرهم شعر ثوار ترافقهم السيوف في حلهم وترحالهم مستعذبين الموت غير آبهين بالدنيا ولهذا فقد جاء شعرهم في كثرته حماسياً. ولكنها حماسة غير تلك

---

[1] أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، ط4 ، 1966م ، ص 168 – 169.

التي يعرفها الشعر العربي وإنما هي التي يحركها تعصب شديد لعقيدتهم التي تعمقوها مؤمنين بها[2].

أهم الاغراض التي تناولها الخوارج:

1. الحماسة:

تتمثل الروح الدينية في هذا الشعر في الحماسة للعقيدة ، والنقطة التـي تلتقى عندها أحلام كل واحد من أولئك الشراة وهي الإستشهاد في سـبيل ا ، أو طلب الموت لتقصير المسافة بين ا والإنسان. ويمثلها قول البهلـول بـن بشر الشيباني يوضح هذه المعاني في شعره بقوله[1]:

من كان يكره أن يلقـى منيتَه   فَالموتُ أَشهى إِلى قَلبي من العسل

فَلا التَقَدم في الهيجاء يعجِلُني   ولا الحـذار ينَجيني من الأجـَل

والإقدام هذا ليس حكراً على الرجـال ، بـل شـاركت فيـه النسـاء الخارجيات أزواجهن واخوانهن بل نافسن الرجال في السعي إلي الشهادة فـي سبيل ا صابرات محتسبات ، مقبلات غير مدبرات ، فكن رفيقـات جهـاد وسلام ، فأم حكيم زوجة قطري قائد الفرسان ، كانت من ذاك الصـنف مـن النساء. قد عبرت عن رغبتها في اللحاق بركب السابقين مـن الشـهداء فقـد شعرت بطول الحياة وثقلها على نفسها فتقول[2]:

---

[2] نعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف ، مصر ، ص 435.
[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 73.
[2] المرجع السابق ، ص 41.

أحملُ رأساً قد سئِمتُ حملَه

وقد مللتُ دهنَه وغَسـ ـلَه

ألا فتىً يحملُ عنّي ثقلـ ـَه

وهي إلي ما جمعت من ملاحة النساء كانت صعبة المراس تحمل مـع الخوارج على أعدائهم لقد كانت وهي تحمل على الفرسان في الحرب تتمنى لو أتيح لها فارس أشد منها بأساً وأصوب ضرباً فيطيح برأسها ويريحها من حمله ومن القيام بواجباته الأنثوية من تغسيل وتدهين وتمشيط وتزيين.

وأود أن أشير إلي كثرة الأرجاز في شعر الحـرب والحماسـة عنـد الخوارج (ولعل أول ما يلفت النظر عند استعراض قصائد هذا الباب ، ظاهرة وفرة الإرجاز فيه والتي يفهم من خلال مناسباتها وسياقاتها ، أنها كانت تنشـد في ميادين القتال ، تشجيعاً لأصحابها على الصبر والثبات ، أو كوعيد يوجـه إلي الأعداء)[1].

وهذه الأرجوزة القصيرة إنها إرتفاع صدر لاهث ، وراء الشهادة ، قال أحدهم[2]:

وخارج أخرجه حـب الطمـع

فر من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجـع

أيي شجاعة هذه. يعبر عنها بكذب خروج الأعداء ، وصدق غـايتهم. فالموت الذي يرهبه الناس سيدركه الفناء ، إذا حل أجله.

---

(1) نايف معروف ، الخوارج في العصر الأموي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، ص 7.

(2) إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 115.

والأبيات التالية التي يصف بها إقدام الشـراة وشـجاعتهم فـي أرض المعركة أنه فارس الشراة الأول أبو بلال[3]:

قلسنا إذا جمت جـموع عدونا   وجاءوا إلينا مثلَ طـامية البحـرِ
نَكُف إذا جـاشَت إلينا بحورهم   ولا بمهاييبٍ نَحـيد عـنِ البتـرِ
ولكننا نَلقـى القَـنا بِنُحـورِنا   وبِالهامِ نَلقى كُل أَبيض ذي أَثـرِ
إذا جشأت نَفس الجبانِ وهلات   صبرنا ولو كان القيام على الجمرِ

فهم صبر عند اللقاء ، ثبت في المعارك. هذه الشجاعة النـادرة التـي يتطلع صاحبها إلي الموت ، متدفقة من عقيدة راسخة ، وتقوى يقظـة ، فـي مكابدة ليل.

2. المديح:

المديح القديم تحول في شعرهم ثناء بالشجاعة والتقوى على الجماعـة الخارجية التي تحرص على الإستشهاد بدافع من روح التقوى المتطرفة ، وإذا أخذنا نقرأ في شعرهم فلن نجد ثناء بغير هاتين الصفتين ، وهما تدوران فـي شعرهم دوراناً واسعاً من مثل قول الطرماح بن حكيم في تقواهم[1]:

لِلّه در الشُـراة إنهـم   ذا الكَرى مالَ بِالطُلى أَرِقوا
يرجعـون الحـنين آوِنَةً   وإن على ساعةً بِهم شَهقوا
خَوفاً تَبين القُلوب واجِفَةً   تَكاد عنها الصدور تَنفَـلِقُ
قَوم شحاح على اعتقادهم   بِالفَوزِ مما يخافُ قَد وثقوا

---

[3] المرجع السابق ، ص 11.
[1] الطرماح بن حكيم ، الديوان ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، ط2 ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 1414هـ - 1994م ، ص 315.

ومديحهم ليس لإستمطار العطايـا والهبـات ، بـل دعايـة للمـذهب الخارجي، فإذا كان الشراة أحلاس الليل ، عبادة وتبتلا ، وبكاء ، فإنهم فرسان الوغى ، يمضون إلي ساحات المعارك وخواطر الشهادة والجنة تداعبهم فتفتر شفاههم عن ابتسامات الفرح والبشر والشجاعة القيمة وهـذا أحـدهم يمـدح عصبته[2]:

وهم الأسود لدى العـرين بسـالة ومن الخشوع كأنهـم أحبار

يمضون قد كثروا الجفون إلي الـو غى متبسمين وفيهم إستبشار

فكـأنما أعـداؤهـم أحبابهـم فرحاً إذا خطر القنا الخطّار

يـردون حـومات الحمـام وأنها تا عند نفوسـهم لصـغار

والشراة عندما يمدحون بهذه الصفات ، يرفعون المثل الخارجي ، الذي لا يرونه إلا حيث أمر ا تعالى في محاريب العبادة ، وميادين الجهاد يلهثون وراء الشهادة. لقد استصغروا أنفسهم بجانبها.

ولكن لا يستغرب أن يمتدحوا قاتل علي بن أبي طالب كرم ا وجهـه عبد الرحمن بن ملجم فعمران بن حطان يمدح هذا الهالك مؤيـداً بـه مذهبـه المارق فيقول[1]:

يا ضربةً من تَقي ما أَراد بِها إِلّا لِيبلُغَ من ذي العرشِ رضوانا

إِنّي لَأذكُـره حيناً فَأَحسـبه أَوفـى البرِيـة عند الله ميـزانا

لِله در المرادي الذي سفَكَت كفّـاه مهجةَ شَر الخَلق إِنسـانا

أَمسى عشـِيةَ غَشّاه بِضربته مما جناه من الآثـامِ عريـانا

---

[2] إحسان عباس ، شعر الخوارج ، ص 238.

[1] الأبيات هذه وردت متفرقة في كتب التاريخ والأدب ، ذكرها الأستاذ إحسان عباس في كتابه ديوان شعر الخوارج ، ص 147 وأغلبها ورد في خزانة الأدب للبغدادي ، ج2 ، ص 439.

وقد عارض أبيات عمران تلك عديد من الشعراء المسـلمين مـنهم ، القاضي أبا الطيب الطاهر بن عبد ا الشافعي يقول[2]:

أني لأبـرأ ممـا أنت قـائله   عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربةً من شقي ما أراد بها   إلا ليهـدم للإسـلام أركانا
إني لأذكـره يوماً فألعنه دينا   وألعـن عمـران وحطـانا
فأنتما من كلاب النار جاء به   نص الشريعة برهانا وتبيانا

3. الرثـاء:

فهو ليس رثاء تقليدياً تطيف به خيالات الحزن وتسـكب فـي أحنائـه الدموع وإنما هو رثاء من لون جديد تطيف به خيالات الإطمئنـان إلـي إرادة ا ، والتسليم بقضائه وتمثل الشهداء في تقواهم. كما في قول عمر بن الحصين يرثي أبا حمزه وغيره من الشراة[1]:

كخَليلك المخـتار أزك بـه   من مغـتَدٍ في الله أو مسـري
خَواض غَمرة كُل متلفـةٍ   في الله تَحـتَ العـثيرِ الكَدرِ
تَراك ذي النخوات مختَضباً   بنَجـيعه بالطعـنَة الشّـزرِ
وابن الحصين وهل له شَبه   في العـرف أنّى كان والنّكرِ
بشَهامةٍ لم تَحـن أضلُـعه   لـذَوي أُخُـوته علـى غَـدرِ
طَلَق اللسان بكُـل محكَمةٍ   رآب صـدع العظم ذي الكَسرِ
لم ينفَكك في جـوفه حزن   تَغـلي حرارتُه وتَسـتَشـري

---

[2] علي بن الحسين المسعودي ، ت (346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقييق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة ، مصر ، 1964م ، ج2 ، ص 34.
[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 86.

وهذه أبيات لحسان بن جعده يرثي بهـا بسـطاماً اليشـكري الملقـب بشوذب، وقد جمع بها ألواناً من الرثاء ... دموعاً وبكـاء وثنـاء ورجـاء ، ومنارات للإقتداء[2]:

يا عين أذري دمـوعاً منك تَسجاما وابكي صحابةَ بِسطامٍ وبِسطاما

فلَن تَـري أبـداً ما عشـت مثلَهم أتقى وأكملَ في الأحلامِ أحلاما

بِسـيهم قَد تأسوا عنـد شـدتهم ولَم يريدوا عنِ الأعداء إحجاما

حتّى مضوا لِلذي كانوا له خَرجوا فَأورثونا منـاراتٍ وأعـلاما

إنّي لأعلَـم أن قَـد أنزِلوا غُـرفاً من الجـِنانِ ونالوا ثَم خُـداما

لقد أضحى الشهداء رواد السبيل إلي الجنان ، أمن غرفاتها بعد أن كانوا رواداً في الاستقامة والصدق والتقوى.

وهذا أبلغ لون من ألوان الرثاء وقد رثى به كعب بن عميـرة فرسـان الخوارج الذين قضوا في معركة النهروان[1]:

لَقَد فاز إخواني فَنالوا التـي بِهـا نَجوا من عذابٍ دائِمٍ لا يفَـتر

أبى اللّه إلّا أن أعيـشَ خـلافَهم وفي اللّه لي عز وحرز ومنصر

ويا رب هب لي ضـربةً بِمهـندٍ حسامٍ إذا لاقى الضريبةَ يهـبر

فَقَد طالَ عيشي في الضلال وَأهله أخافُ التي يخشى التَقي وَأحـذَر

أنه اغرودة الغبطة ، غبطة هؤلاء الشهداء ، الـذين فـازوا بعـد أن زحزحوا عن النار ، ونجو من عذابها الدائم ، وأخطأت الشـهادة الشـاعر ، فخلفته وراءهم متطلعاً وسائل ا أن يحظى بتلك الميتة التي ترشـحه لـذلك المآل. وفي تلك المعاني التي تناولها الشاعر في رثائة صدى الآيات القرآنية ،

---

[2] المرجع السابق ، ص 69 – 70.

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 5.

التي تتحدث عن الحياة والفوز الحقيقي في الآخرة ، فقد ارتوت معاني الرثـاء بالمعاني القرآنية الي جانب العواطف الصادقة في رثـائهم ، وهـو ترشـح بالإكبار والإشادة بالفارس الخارجي وأخلاقه وتقواه وبسالته.

أنهم أعطوا الرثاء نغماً خاصاً ، فلم يعد ذلك الندب الجنائزي ، الـذي يواكب تشييع الموتي ، وإنما هي تطلعات إلي هؤلاء القوم وشجاعتهم ، ومـا أكرمهم ا به من شهادة وجنات. إنها بطاقات تهنئة تـدفع إلـي الشـهداء ، وأصدق دليل على هذا اللون من الرثاء ، قول أبي بلال في رثاء عبد ا بـن وهب الراسبي وغيره[1]:

أَبعد ابنِ وهبٍ ذي النَزاهة والتُقى ... ومن خاض في تلك الحروبِ المهالِكا

أَحب بقـاءً أَو أُرجـى سـلامةً ... وقَد قَتَلـوا زيد بن حصـنٍ ومالِكـا

فَيا رب سلم نيـَتي وبصـيرتي ... وهب لي التُقى حتّـى أُلاقي أولَئِـكا

هذا الشعور ، وهذه الأماني جعلتهم لا يبكون قـتلاهم ، ولا يرثـونهم بالصورة التي نجدها عند الفرق الأخرى ، إذ كان قتلهم – في رأيهم – السعادة المنشودة.

4. الفـخر:

وطبيعي أن يفخر الخارجي بتقواه وبشجاعته وأن يتحول الفخر التقليدي في شعره إلي إشادة بالذات الخارجية المؤمنة الباسلة وبإيثارها وتضحياتها من أجل المبدأ وفخرها بما قدمت في سبيله من مثل قول قطري بن الفجاءة يـوم دولاب مفتخراً بشجاعته إلي أم حكيم[2]:

لَعمرك إِنّي فـي الحـياة لَزاهـد ... وفي العـيشِ ما لَم أَلقَ أُم حكيمِ

---

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 10.

[2] المرجع السابق ، ص 44.

من الخَفَرات البيض لم ير مثلُـها	شـ ـفاءً لِـذي بث ولا لِسـقيمِ
لَعمركَ إنّي يوم ألطم وجـهها	على نائبات الدهـر جـد لئيـم
ولَو شَهدتني يوم دولاب أبصـرت	طعان فَتىً في الحربِ غَير ذَميمِ
غَداةَ طَفَت علمـاء بكر بن وائـِل	وألاقهـا من حمـيرٍ وسـليمِ
ومالَ الحجازيـون نَحـو بِلادهـم	وعجنا صدور الخَيل نَحو تَمـيمِ

في شعر الخوارج فقد جاء الفخر قرين الهجاء – لأنه يزيد مـن رغـم الأعداء وغيظ قلوبهم واللغة التي تعيد الحق إلـي نصـابه ، تمضـي قـرار صاحبه، هي لغة السلاح وهذا جزء من تصورات الخوارج ، فلتسـقط لغـة الحوار والجدل ، وليقوم السيف حكماً ، ففي لسانه الكلمة الفصل ، وهـذا مـا ارتجزه عبيدة بن هلال اليشكري[1]:

إنّي لَمـذكٍ لِلشراة نارهـا
ومانع ممـن أَتاهـا دارهـا
وغاسلٌ بِالطَعنِ عنها عارها
حتّى أُقـر بِالقَـنا قَـرارها

وفي هذا الرجز تتبدى لغة القوة والفتوة ، وقد ذابت الشخصية الفرديـة ضمن العصبة الخارجية.

وإن كنا نجد الفخر الشخصي في أشعارهم ، وأرجازهم فاسـمع إلـي عبيدة بن هلال نفسه يقول[2]:

أَنا ابن خَيرِ قَومه هلال
شَيخٌ على دينِ أَبي بِلال

---

(1) إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 54.
(2) المرجع السابق ، ص 53.

وذاك ديني آخـر الليالي

ولكنه يجعل من فروسيته وشجاعته رافداً يتحدر في مسبل أبـي بـلال الذي كان معلماً شامخاً من معالم الفرقة الخارجية. وهو هنا يطابق بين إقدامه وعقيدته. فالفخر - كما نلاحظ - كان بصفات الإيمان ، والتقوى ، والشجاعة ولكنها شجاعة صادرة عن عقيدة راسخة جندت أتباعها للعمل في سبيلها ، فهم يخوضون غمرات الموت لذلك.

5. الهـجاء:

تحول الهجاء عندهم إلي نقض الصفتين اللتين قام الثناء بها مقام المديح فكانوا يهجون أعداءهم بصفات الكفر والفجور والغدر والضلال والجبن كمـا في قول قطري[1]:

فَلَو شَهِدتنا يـوم ذاك وخَيـلُنا تُبيح من الكُفّارِ كُل حريمِ

رأَيتُ فتيةً باعوا الإِله نُفوسهم بِجنّات عدنٍ عنده ونَعـيمِ

وهكذا يتخذ الهجاء لديهم لوناً جديداً ، فإذا هو بالنسبة لأعدائهم هجـاء حاد بالكفر والإلحاد والضلال ومجافاة روح الإسلام أما إذا كان فيما بينهم فهو نقد لروح التخاذل والإخلاد إلي الدعة.

بعد أن هجر سميرة بن الجعد الحجاج وقلاه ، إلتحق بركـب الشـراة فأطلق هجاء مر ، للطاغية ، ولكل أفراد الأمة المسلمة وقتها ، فقد سلكوا سبلاً تفرقت بهم عن سبيل الهدى ، حيث قال[2]:

فَمن مبلغُ الحـجاجَ أَن سمـيرةً قَلى كُل دينٍ غَير دينِ الخَوارِجِ

رأى الناس ِإلّا من رأى مثلَ رأيه ملاعين تَراكين قَصد المناهـجِ

---

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 45.
[2] المرجع السابق ، ص 22.

وهناك هجاء شخصي – وهو اللون الثاني للهجاء – إلا أنه لم يغـادر ساحة الكفر والجبن والفرار ، وقد صبه عمران بن حطان على الحجـاج بـن يوسف الثقفي ، فقال[3]:

أسد عليّ وفي الحـروبِ نَعامةٌ	ربداء تجفلُ من صفيرِ الصافرِ
هلّا برزتَ إلى غَزالَةَ في الوغى	بل كان قلبك في جناحي طائِرِ
صدعت غَزالَةُ قلبـه بفَـوارسٍ	تَركتَ منابِره كأمـسِ الـدابِرِ
ألق السلاح وخُذ وِشاحي معصرٍ	واعمد لِمنزِلَة الجـبانِ الكـافرِ

أي أنه جبان وكافر.

وقد تعدى الهجاء – وفي أضيق السبل – ذلك الأسلوب إلـي الهجـاء الشخصي وبعاهات خلقية ، من دمامة ، وكراهة رائحة ، وضعة نسب وهـو ارتكاس في مستنقع الهجاء ، ومن ذلك رجز عبيدة بن هلال اليشكري الـذي يهجو به زيد بن جندب[1]:

أشغى عقَنباةٌ وناب ذو عصل

وقَلَح بـادٍ وسـن قَد نَصـل

وقوله أيضاً[2]:

ولَفوك أشنَع حين تَنطُقُ فاغراً	من في قَريحٍ قَد أَصاب بريرا

أما الهجاء بضعة النسب ، وسوء المنبت ، ولؤم الأجداد ، فهـو سـهم رمي شبيب الحجاج بن يوسف الثقفي به فقال[3]:

عبد دعى من ثمود أصله	لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

---

[3] المرجع نفسه ، ص 25.

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 54.

[2] المرجع السابق ، ص 54.

[3] نايف معروف ، الخوارج في العصر الأموي ، ص 281.

لقد ربط نسبه بثمود ، الذي ارتبط اسمهم بالطغيان والضـلال ، فقـد طغوا في البلاد وأشاعوا فيها الفساد (فرعون وثمود).

كما أن هنالك أبياتاً من شعر الخوارج سالت في روافد الهجاء المتباينة من اللوم والتأنيب والتقريع للنفس أو لأحد المقربين من الجماعـة الخارجيـة وقصيدة قطري التي وجهها لسميرة بن الجعد ، واحـدة مـن قصـائد اللـوم والتقريع اللطيف بقوله[1]:

وراح ابن جعد الخَيرِ نَحـو أَميرِهِ   أَميرٍ بِتَقـوى ربه غَـيرِ آمـِـرِ

أَبا الجعد أَين العلم والحـلم والنُهى   وميـراثُ آباءٍ كـرامٍ العناصـرِ

أَلَم تَرَ أَن الموتَ لا شَـك نـازِلٌ   ولا بد من بعث الأُلى في المقـابِرِ

فَراجِع أَبا جعـدٍ ولا تَكُ مغـضياً   على ظُلمةٍ أَعشَت جميع النَواظِرِ

إنه تقريع خفيف ، فهو يذكره بالآخرة ، والمصير الذي ينتظر العصاة ، وقد يكون اللوم والتأنيب للنفس التي تثاقلت عن الجهاد ونصرة المؤمنين.

أن أسلوب الهجاء الوضوح ، وقلة الصنعة والتكلف ، لأن الهجاء وليد الفطنة وسر الخاطرة ، واللمحة الدالة ، وهذا يتجافى مع التقعـر والتكلـف ، وإطالة التفكير.

6. الغـزل:

لقد طغى الجد الصارم على حياتهم ، وولى عهد الهزل والعبـث. أو لا مكان له في حياة الخارجي ، الذي نذر نفسه جندياً في سبيل خدمـة عقيدتـه ومذهبه ، فباتت عواطفه وأحاسيسه تحلق مع جماعته ، التي اندفعت لتحقيـق مبادئها في عالم الواقع ولتبدع حياة وفق تصورها ، وكما يحلو لها.

---

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 47.

وقد عثرت على أبيات غزلية ، في ديوان الخوارج فهو قليل فإنما هـو بالزوجة – لا بالعشيقة – الزوجة التي تقف إلي جانبه ، في جهاده وبلائه فـي أرض المعركة وما حديث أم حكيم عنا ببعيد والنفس البشرية متعلقة بالأحبة ، إلفة وذكرى والشاعر الخارجي يتذكر زوجه ولكن لا يبثهـا لواعجـه ، بـل يحدثها بمواقف البطولة والرجولة التي أبداها وكابدها ضمن العصبة الخارجية وما لاقاه من أهوال المعركة ففارس الخوارج قطري ، ند عن لسـانه نسـيب وغزل زاد من جمال شعره وقوته إذ لابس شعر الحماسـة ، وانطلـق معـه فتحول على يديه وسيلة فنية لتصوير موقفه وأداء قناعته وتصوراته فأسـمعه يقول[1]:

لَعمركَ إنّي في الحياة لَزاهد وفي العيش ما لَم ألقَ أُمَّ حكيمِ

ونجد أيضاً غزل طفيف يتوجه به الخارجي إلي حليلته في سياق الفخر بانتصاره لعقيدته وزوده عنها معلقاً عليه أسباب تعلقه – يقول عمران مخاطباً زوجه جمرة[2]:

يا جمر يا جمر لا يطمـحِ بِكِ الأملُ فَقَد يكذب ظَـن الآمـل الأجلُ

يا جمر كَيفَ يذوقُ الخَفض معتَرِفٌ بِالموت والموتُ فيما بعده جلَلُ

كَيفَ أُواسـيك والأحـداثُ مقـبِلَةٌ فيها لِكُل امرئٍ عن غَيرِهِ شُغُلُ

وكأنما كانت جمرة تقف والموت متقابلين في نفس عمران.

فكيف يروق الغزل لشاعر ، أحاطت به تكاليف عقيدته ومذهبه ، وجمع الناس لأخوانه ورموهم عن قوس واحد. وأين سيكون حديث النساء وذكرهن؟ وإلي جانب جثة سقطعت بقصعة رمح ، أو بضربة سـيف؟ أيتغـزل فـوق

---

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 44.
[2] المرجع السابق ، ص 28.

الأشلاء الدامية ، ويذرف عبرات الفراق على مصارع القـوم؟ أم يدفعـه ذاك إلي وقفة صادقة مع إخوانه الشراة؟ الجواب على لسان زياد الأعسم ، وهـو يرثي داؤود بن النعمان العبدي[1]:

تُعاتبني عرسي على أن أُطيعها   وقبلَ سليمى ما عصيتُ الغَوانيا

فَكُفّي سليمى واتركي اللوم إنني   أرى فتنَةً صماء تُبدي المخازيا

فَكَيفَ قُعودي والشَراةُ كما أرى   عزين يلاقون البلايا الدواهـيا

وأننا لنجد في الغزل الخارجي حب تحوطه العفة وتحرسـه التقـوى ، وينأى عن وصف محاسن النساء ، لقد اتخذت المرأة في الشـعر الخـارجي وصعاً جديداً ، يختلف عن وضعها في الشعر التقليدي ، فهي ليست موضوعاً للغزل العاطفي ، الذي يبث فيه الشاعر أشواقه وحرمانه ، بل هي رفيقة سلاح وكفاح. تخوض معه المعارك أحياناً وتبلي بلاءً لا يكاد يقل عن بلاء الرجال.

فإذا ذكر الشاعر الخارجي إمرأته في مطلع قصيدته ، أو مقطوعتة ، لا يلبث أن يقرن بين حبه إياها ، وحب الشهادة في سبيل الإيمـان والمبـدأ ، لا إدلالاً بفروسيته المفردة على طريقة الشعراء الجاهليين ، في هذا المقام ، ولكن تصويراً لوجه آخر من الحب ينصرف فيه الخارجي ، ورفاقه عن أهواء الدنيا ومتع النفس[2].

وهكذا تحول الغزل مع غيره من الأغراض الشعرية على يد الخوارج إلي فنون سياسية ، تواءم مذهبهم وتلتزم بتوجيهاته وتطلعاته وتحركاته ، حتى تجسد التلاؤم الكامل بين الفن والعقيدة في أشعارهم.

---

[1] إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، ص 65.

[2] عبد الحميد القط ، عبد القادر القط ، النقد العربي ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، 1409هـ - 1989م ، مصر ، ص 183.

خصائص شعر الخوارج:

- أنه شعرملتهب حار تشيع فيه حرارة الإيمان وقوة العقيـدة وفـداء المـذهب والإستخفاف بالحياة وطلب الموت في سبيل المبدأ.
- كان شعرهم صورة لهم لأنه لا يدور حول أشخاص ، إنما يدور حول عقيـدة هم أنفسهم قادة نضالها وزعماؤها فجاء قوياً واضحاً صادقاً.
- شعرهم جديداً في معانيه وموضوعاته وغاياته وأسلوبه الذي اتسم بسماتهم من القوة والوضوح والصلابة والصدق.
- إن شعرهم تغلب عليه المقطعات ، لأن الشعر لم يكن عندهم فناً تمارسه طائفة خاصة تنقطع لإنتاجه ، وتتنافس في تجويده والبراعة فيه ، وإنما كان تعبيـراً عن المشاعر في أحوال خاصة.
- وفي شعرهم وصف لمخالفيهم بالكفر والإلحاد.
- شعرهم لم يكن كثيراً لأنهم شغلوا بالحروب ، وأن كثيراً من شعر الخوارج قد عفى عليه النسيان والإهمال.

(ب) شعر المرجئة

المرجئة معنىً ونشأةً:

(أرجأت الأمر أخرته ، وقـرى: (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّـهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1] ، أي: مؤخرون حتى ينزل ا تعالى فيهم ما يريد – ومنه سميت المرجئة – مثال المرجعة: يقال: رجل من حي مرجي ، مثال: مرجـع ، والنسبة إليه مرجيء مثال: مرجعي هذا إذا همزت ، فإذا لم تهمز قلت: رجل مـرجٍ مثل معطٍ وهم المرجية بالتشديد ، لأن بعض العرب يقولون أرجيت وأخطيتُ)[2].

أما عن نشأة المرجئة فإن النزاع الذي دار بين الشيعة الموالين لعلي بن أبـي طالب رضي ا عنه ، وبين الأمويين الموالين لمعاوية بن أبي سفيان ، والخـوارج الذين نصبوا أنفسهم أعداءً لهم ، أدى هذا الخلاف إلي ظهور فرقـة محايـدة ، هـي المرجئة ، ولم يرد معتقديها الإنغماس في تلك الفتن ، وإراقة الدماء وإصدار الأحكام جذافاً على المسلمين ويرون إرجاء الحكم فيهم يوم القيامة لأنه العالم بنواياهم[3].

وذكر الشهرستاني للإرجاء معنيان فقال أحدهم التأخير كما في قولـه تعـالى: (قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ)[4] ، أي أمهله وأخره.

والثاني إعطاء الرجاء ، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بـالمعنى الأول لأنهم يؤخرون العمل على النية والعقد. وأما بالمعني الثاني أنهم يقولون لا تضر مـع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة[5].

وقيل الإرجاء هو تأخير صاحب الكبيرة إلي يوم القيامة فلا يقضي فيه بحكـم في الدنيا مع كونه من أهل الجنة أو من أهل النار فعسي أن يكون من المرتكب مـا يكفر ذنوبه ويبدل سيئاته حسنات[1].

---

[1] سورة التوبة ، الآية 106.
[2] الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ، ج1 ، باب رجأ ، ص 68.
[3] البير نصري نادر ، أهم الفرق الإسلامية ، ص 33.
[4] سورة الشعراء ، الآية 36.
[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 114 – 115.

المرجئة بضم وكسر ما بعدها ياء مهموزة يجوز تشديدها بلا همز نسبو إلي الإرجاء وهو التأخير لأنهم أخروا العمل على الإيمان فقالوا الإيمان هو التصديق بالقلب ولم يشترط جمهورهم النطق[2].

(إنما سموا مرجئة لأنهم أخرجوا العمل من الإيمان وهو الإرجاء بمعني التأخير يقال أرجئه وأرجأته إذ أخرته)[3].

ويعلق الشهرستاني بقوله: (ولعل هذا الإختلاف في تحديد المعنى الإصطلاحي للمرجئة هو الغموض الذي اكتنف نشأتها والمراحل التي مرت بها إلا أن الذي يظهر هو إرتباط اسم المرجئة بموضوع الإيمان)[4].

مما سبق نجد أن المصادر لم تحدد نشأة المرجئة تحديداً دقيقاً كما هو الشأن عند الخوارج.

ولكن نجد أن ابن عساكر في حديثه عن المرجئة قال: (هم الشكاك ، الذين شكوا ، وكانوا في المغازي ؛ فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان ، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحداً ليس بينهم إختلاف ، قالوا: تركناكم وأمركم واحد ليس بينكم إختلاف ، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلوماً وكان أولى بالعدل وأصحابه ، وبعضكم يقول كان علي أولى بالحق وأصحابه. كلهم ثقة ، وكلهم عندنا مصدق ، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ، ولا نشهد عليهما ، ونرجيء أمرهما إلي ا   حتى يكون ا   هو الذي يحكم بينهما)[1].

وهذا النص يشرح بوضوح المبدأ الأساسي الذي قام عليه حزب المرجئة وهو إرجاء أمر الناس إلي يوم القيامة وترك الحكم عليهم   وحده.

قد لاحظ بعض المستشرقين أن الكلام على طائفة المرجئة وبدء تكوينها وشرح عقائدها أحيط بشيء من الغموض ، وعلل ذلك بأن الدولة العباسية دمرت هذه الطائفة

---

[1] محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ج1 ، ص 134.

[2] ابن حجر ، فتح الباريء في شرح صحيح البخاري ، ج1 ، ص 110.

[3] البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 122.

[4] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 123.

[1] علي بن الحسن بن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق: أبو عبد الله علي عاشور الجندي ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 2001م ، ص 577.

، وأماتت القول بهذه العقيدة لأنها تناصر الأمويين إلي حدٍ ما على كل حـال فهـذه الفرقة تدخلت بعد العصر الأموي في الفرق الأخرى وذابت فيها ولم يعد لها وجـود مستقل محسوس[2].

لا نجد لهذه الفرقة دوراً سياسياً بارزاً بجوار حزب الشيعة والخوارج ، ذلـك لأنها توقفت عن الإشتراك فيما اشتجر بين المسلمين.

ولذاك فنحن نفقد الأدب الذي يمثل آراءها ومذهبها – وإن كان هنالك بعـض الشعراء من هذه الفرقة – والسبب في هذه الظاهرة طبيعة المذهب نفسه ، فلم يكـن لهم موقف سياسي يدافعون عنه ، ويعلنونه ، فإنه كما يقول د. عبد الحكيم: (لم يلهب نار الحماسة بين الأحزاب الأخرى إلا مبادئهم التي اعتنقوها وآمنوا بهـا ، ووقفـوا حياتهم للدفاع عنها. والمذهب يفقد عنصرين يبعثان الأدب وهما: عنصر عقلي قـوي في يد صانع ولسانٍ طلق ، وهذا الذي نراه في أدب المعتزلة ... وعنصر العاطفة ... وهو ما نراه في أدب الشيعة)[1].

ولكن الأستاذ أحمد أمين يجد ثمة آثاراً للمذهب في أدب العصـر العباسـي ، وهو باب عفو ا عن ذنوب العاصين ، فقد كانت المرجئة تجيز احتمال عفو ا حتى مع عدم التوبة ومع الإكثار من المعاصي. ونرى مثلاً واضحاً جلياً في شـعر أبـي نُواس ، ربما كان خير مثل لذاك قوله يستهزيء بالنظام ومذهبه في الإعتزال ويحبـذ الإرجاء ورأيه في العفو[2] ، ويقول[3]:

فَقُل لِمن يدعي فـي العـلمِ فَلسفَـةً حفظتَ شَيَئاً وغابت عنكَ أشياء

لا تَحظُرِ العفوَ إن كُنتَ امرأً حرِجاً فَإن حظركه فـي الدينِ إزراء

ويقول[4]:

أيها الغـافل المقـيم على السـ ـهو ولا عـذر في المقام لساه

---

[2] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص 281.

[1] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 45.

[2] أحمد امين ، ضحى الإسلام ، ج3 ، ص 328.

[3] أبو نواس ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د. ت ، ص 8.

[4] المرجع السابق ، ص 688.

لا بأعمالنا نطيق خلاصاً   يوم تبدو السماء فوق الجباه

غـير أني علـى الإسـاءة والتفـريط راجٍ لحسـن عفـو ا

ويقول أيضاً[5]:

يا رب إن عظُمت ذُنوبي كثرةً   فلَقَد علمتُ بِأن عفوك أعظَـم

إن كان لا يرجوك إلّا محسـن   فَبِمن يلوذُ ويستَجير المجـرِم؟

أدعوك رب كما أمرتَ تَضرعاً   فَإِذا رددتَ يدي فَمن ذا يرحم؟

ما لي إِلَيك وسيلَةٌ إلّا الـرجـا   وجميلُ عفوك ثُم أنّي مسـلم

وسار على هذا النمط كثير من الشعراء لذا نقرر أن مذهب الإرجاء فتح بابـاً جديداً من أبواب الأدب ، وهو فلسفة العفو.

ويبدوا لي أن أكثر الذين اعتنقوا مذهب الإرجاء كان دافعهم إلي ذلك سياسـة العفو فالمرجئة تجيز إحتمال عفو ا حتى مع عدم التوبة.

وقد اشتهر من شعراء بني أمية بالقول بالإرجاء ثابت قطنة ، وله قصيدة فـي الإرجاء تعد وثيقة قيمة في توضيح مذهب المرجئة قال فيها[1]:

يا هند أني أظُـن العيشَ قَد نَفَدا   ولا أرى الأمـــر إلّا مدبـراً نَكَـدا

إنّي رهينَةُ يومٍ لَسـتُ ســابِقُه   إلّا يكـُن يومـُنا هـذا فَقَـد أفِــدا

بايعتُ ربي بيعاً إن وفّـيتُ بِـه   جاورتُ قبلي كـراماً جاوروا أُحـدا

يا هند فَاستَمعي لي إن سـيرتَنا   أن نَعبـُد الله لَـم نُشـرِك بِه أحَـدا

نُرجي الأُمور إذا كانَت مشبهةً   ونَصـدقُ القَولَ فيمن جار أو عـندا

المسلمون على الإسلامِ كُلُّـهم   والمشـــرِكون أَشـتوا دينَهـم قددا

ولا أرى أن ذَنباً بالِـغٌ أحـداً   من الناسِ شركاً إذا ما وحدوا الصمدا

لا نَسفك الدم إلّا أن يـراد بِنـا   سفك الدمـاء طَـريقاً واحداً جـددا

---

(5) المرجع نفسه ، ص 587.

(1) عبد القادر بن عمرو البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1409هـ ، ج4 ، ص 186 – 187.

من يتق الله فـي الدنيا فإن له   أجر التقـي إذا وفى الحسـاب غدا

وما قضى الله من أمرٍ فليس له   رد وما يقض من شـيءٍ يكن رشدا

كل الخـوارج مخطٍ في مقالته   ولو تعـبد فيـما قـال واجتهـدا

أمـا علي وعثمـان فإنهـما   عبـدان لـم يشـركا بالله مذ عبدا

وكان بينهما شغب وقـد شهدا   شق العـصـا وبعين الله ما شـهدا

يجزى علي وعثمان بسـعيهما   ولسـت أدري بحـق آيـةً وردا

الله يعلم مـاذا يحضـران به   وكل عـبدٍ سـيلقى الله منفـردا

ونحن إذا حللنا قصيدته نتبين منها معني الإرجاء وجدناه يقول: أنه لا يحكم على أحد من المسلمين بالكفر مهما أذنب ، وإن الذنب مهما عظم لا يذهب بالإيمان وأنه لا يسفك دم أحد من المسلمين إلا دفاعاً عن نفسه ، وأنه إذا اشتبهت الأمور وكفرت كل طائفة أختها فيما فعلت أرجأنا أمرهم جميعاً إلي ا يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ؛ أما الجور البين والعناد الواضح والأعمال الظاهرة فنصدر أحكامنا عليها في صراحة ، ونبين الخطأ فيها من الصواب ، وأن الخوارج أخطأوا على علي وعثمان بالكفر ، فإنهما عبدان لم يشركا به منذ عرفاه ، ولكن كان بينهما شغب لم يخرج بهما عن الإيمان ، فنترك أمرهما يقدر عملهما ويكافي عليه.

الفصل الثالث

مظاهر التشيع والإعتزال
في شعر الصاحب

المبحث الأول: مظاهر التشيع في مديحه.
المبحث الثاني: رثاؤه ومظاهر التشيع فيه.
المبحث الثالث: مظاهر الإعتزال في شعره.

المبحث الأول
مظاهر التشيع في مديحه

المدح عبر العصور:

المدح من الأغراض الشعرية القديمة التي نظم فيها الشعراء ، إبتداءً من العصر الجاهلي وإلي عصرنا هذا ، ويعتبر غرض أساسي في الشعر العربي.

وجاء تعريف المدح على لسان العرب في مادة مدح: (والمدح نقيض الهجاء وهو الثناء على الممدوح بذكر صفاته وشمائله يقال: مدحته مدحة واحدة ، ومدحه يمدحه مدحاً ومدحة ، هذا قول بعضهم ، والصحيح أنه مصدر والمدحة اسم)[1].

ومما لا شك فيه أن المدح نشأ مع الإنسان وتطور بتطور الحياة لأن الإنسان قد يعجبه شيئاً فيثني عليه ، وتعجبه الشمائل والصفات فيثني على صاحبها ، ولعل الغرض الأساسي من نشأة المدح هو طمع الشعراء في التكسب من الممدوحين بالعطايا والهدايا وفيض نعيمهم.

قال أحمد أبو حاقة في شأن المدح: هو تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة وإظهار التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا ، وعرفوا بمثل هاتيك الشمائل[2].

وطُلب في المدح أن يسلك الشاعر فيه طريقة الإيضاح والإشارة بذكر الممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويتجنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل[1].

والحق أن الإعجاب والثناء باعث فن المدح في شعرنا العربي في عصوره الأولى – العصر الجاهلي – عصر صدر الإسلام – وقد ظل المدح في الشعر العربي ، خالياً من التكسب والنوال ، حتى جاء الأعشى فسأل الناس واستجدى بالقريض[2].

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مدح

[2] أحمد أبو حاقة ، فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، منشورات دار الشرق الجديدة ، بيروت ، لبنان 1962م ، ص 5.

[1] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ، ج2 ، ص 128.

[2] محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1974م ، ص 54.

والحق فأنه قد سبقه غير شاعر كالنابغة ، وزهير ، لكن واحداً منهم لم يحرص على الاستعطاء وطلب النوال كما حرص الأعشي[3].

والحق أن الإستجداء قد أضر بالشعر ومكانة الشاعر ، فبعد أن كان الشـاعر أرفع مكانة وأسمى منزلة من الخطيب ، جعله التكسب أقل وأدنـى ، ويقـول ابـن رشيق: (كان الشاعر في مبدأ الأمر أرفع من الخطيب لحاجتهم إلي الشعر في تخليـد المآثر ... ، فلما تكسبوا به وجعلوه طعمه وتولوا به الأغراض ، صـارت الخطابـة فوقه ...)[4].

وأما في العصر الأموي فقد أكثر الشعراء من المدح وأطالوا فيه ، ويقـال أن كثير عزة أول من فعل ذلك ، كما إن جريراً أول من أستن إطالة الهجاء ، وتقصـير الممادحة ، على أساس أن أولها ينسي وآخرها لا يحفظ[5].

وقد هاجم بعض النقاد شعر المدح بعد إتجاهه أداة للتكسب والإرتزاق لما فيـه من الكذب بخلع صفات على الممدوح ليست فيه ، وبذلك يكون للشعر تصوير بعيـد عن الصدق ، وكذب أحياناً على التاريخ ، ولكن هذا النقد لم يؤثر في إنتـاج شـعر المدح ، ولا يبالون بالكذب في سبيل المال والجاه[1].

ومن شروط المدح الجيد عند النقاد أن يكون أسلوبه جزلاً ، وأن تكون ألفاظه متخيرة ، وأن تكون القصيدة متوسطة الطول إذا كانت في عظيم ، وذلك خشية مـن سآمه ، إن كانت طويلة ، وبعض النقاد يرى الإطالة في المدح ضرباً من الهجاء[2].

أما في العصر العباسي فقد راج المديح رواجاً ، لم تشهده العصور السـابقة ، ذكر أحمد أبو حاقة إن المديح في عهد بني العباس سيطرت عليه صبغة التكسـب ، والذين نظموا في فن المديح هم كل الشعراء تقريباً ، فأكثروا منه إكثـاراً لـم يكـن

---

[3] شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط8 ، 1960م ، ص 348.
[4] ابن رشيق ، العمدة ، ص 82.
[5] عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة ، ط2 ، 1916م ، ص 184.
[1] عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 185.
[2] المصدر السابق ، ص 184.

للعرب به عهد من قبل والتفوا حول الملوك وحول الأمراء والعظماء يستدرون أكفهم ، ويستغلون ميولهم ، ويستجدون منهم العطف والعطاء[3].

أما شاعرنا الصاحب فإنه مدح ولكن مديحه لم يكن من أجل التكسب لأنه لم يكن محتاجاً إلي المال ، ولكنه مدح أهل البيت وتشيع لهم وكانت جل مدائحه في الإمام علي كرم ا وجهه.

مـدح آل البيت:

أهل البيت: أهل بيت النبي □ : أزواجه وبناته ، وصهره علي ، قيل نساء النبي □ والرجال الذين هم آله[1].

الحديث عن صورة آل البيت في إطارها السياسي يدور معظمه عن سيدنا علي بوصفه رأساً لهذا البيت ، وأول من شقق لآله طرقاً في سوح السياسة ، وسيدنا علي خاض غمار الحياة العامة منذ حداثة سنه لأنه تربى في بيت النبوة وشهد أيام الدعوة الأولى وعانى مع الرسول □ ما عاناه لما كانوا قلة تخطفها الناس.

يمثل الجانب العقدي في شعر الصاحب بن عباد حيزاً كبيراً ، لا يضارعه في حجمه وقيمته بقية الجوانب. ويعد التشيع من أهم الموضوعات التي تناولها ، فقد كان متعلقاً بآل البيت محباً لهم. ونظم شعره العقدي الشيعي في موضوعين أساسين هما مدح آل البيت وذكر مناقب علي بن أبي طالب رضوان ا عليه ، متحدث عن سيرته وإنتصاراته على مشركي قريش وغيرهم وما فتح ا على يديه من حصون خيبر ، مضيفاً إلي ذلك كل ما يروى له من فضائل منذ اعتنق الدين الحنيف وجاهد في سبيله إلي وفاته. والموضوع الثاني فهو بكاء الحسين وندبه.

---

[3] أحمد أبو حاقة ، فن المديح ، ص 200 – 201.

[1] الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، د. ت ، ص 1245.

ولم يكن حظ آل البيت من شعر الصاحب قصيدة أو قصيدتين ، وإنما نظم فيهم العديد من القصائد والمقطوعات ، وله في ذكرهم والإشادة بهم والتنبيه على شأنهم ، ووجوب إعظامهم ، قصائد خالدة تدل على وجدان متدفق وعاطفة حافزة.

جعل الصاحب من شعره سلاحاً قوياً ، يدعم به كيـان آل البيـت ، ويبشـر بمبادئهم ، وينافح عن عقيدتهم ، فنجده يمدحهم بقوله[1]:

وأخلـص مـدحي لِلنبِـي محمـدٍ وذريـةٍ منهـا النبِـي محمـد
نَبِـي أقـام الـدين والـدين مائِـل وأوهى قَناةَ الكُفـر وهـي تشـدد
فَلَولاه لم يكشَف سجافُ ضـلالَةٍ ولَولاه لم يعرف من الحق مقصـد
دعا وهدى مستَنقذاً من يد الـردى وصلّى علَيه اللّـه مـا دام فَرقَـد

مدح النبي محمد وذريته ، حيث نجده شخص الدين وشبهه ببنيان مائل قبل مجيء النبي عليه الصلاة والسلام. ولولاه لم يأت النور ، ولولاه لم يعـرف النـاس الحق.

ونجده يمدحهم أيضاً في مواضع أخرى بقوله[2]:

إذا تَراخـى مـديحي آلَ يسـينا وجدتُ في القَلبِ أحزاناً أفانينا
يا طَبع فض بِمديحِ الطاهرين ولا تَغض وجدد ثَناءاً لِلوصـيينا
فَلَستُ أطلُب روح الخَيرِ مجتَمعـاً إِلّـا بِحسـن ولاء الطالِبِيينـا
الحمد لِله لَمـا أن هـديتُ إِلـى محبة السادة الغُـر الميامينـا
حب النَبِي وأَهل البيت معتمـدي إِذا الخطوب أساءت رأيها فينا

فالدافع له إلي مدح آل البيت ، والتعصب لهم ، والإنتصار لأئمتهم كان سـببه الشعور الديني والوازع العقدي الذي يؤمن به ، فكان شعره تياراً إسلامياً يصب فـي بحر آل البيت ، ويرفده بمعين لا ينضب. وهو يرى أنه إذا تراجع عن مدح آل البيت

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 34.
[2] المصدر السابق ، ص 106.

وجد في قلبه أحزاناً ، وهم الأوصياء ، وهو يحمد ا على أن هداه إلـي محبـة آل البيت ، ويعتبرهم معتمده إذا حلت به الخطوب. وله فيهم أيضاً[1]:

لِآل محمدٍ أصـبحتُ عبـداً وآلُ محمـدٍ خيـر البريـه

أناس حل فيهم كـل خيـرٍ مواريـثُ النُبـوة والوصـيه

عطر الصاحب صورة التشيع عنده بذكر محمد عليه الصلاة والسـلام وأنـه أصبح عبداً لآل محمد لأنهم خير البرية ، ويمثل شعره نظرية الشـيعة ، ونظـريتهم الإعتقادية في حقهم بتولي الخلافة وتوارثها ، إستناداً على قرابتهم من الرسول □ .

ويظهر الصاحب في شعره مبدأ من مباديء الشيعة وهو الشـفعة أي شـفاعة الرسول المصطفى وآل بيته ويتأثر بتلك الإفتتاحية الروحانية فيبدأ قصيدته بقوله[2]:

شَفيعي إلى الله قَوم بِهـم يميز الخَبيثُ من الطيـبِ

يحبهم صرتُ مسـتَوجِباً لما لَيس غَيري بِمستَوجِبِ

وهكذا يتبين لنا أن حب آل البيت قد استحكم في قلب الشاعر.

مدح الإمام علي كرم الله وجهه:

من الموضوعات البارزة في صورة التشيع في شعر الصاحب بعد آل البيـت هو مدح علي بن أبي طالب والحزن على ما أصابه هو وأولاده.

كان الصاحب أمامي المذهب[1]. وأهم مسألة تدور عليها كلام الشيعة الإمامية مسألة الإمام. فهي مركز بحوثهم وهي الملون لعقيدتهم.

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 301.
(2) المصدر السابق ، ص 189.

[1] محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج5 ، ص 123.

أن الإمامة أساس تلك العقائد وقطب رحاها وعقيدة الإمامة في المذهب الشيعي صنو لعقيدة التوحيد ، يؤمن بها الشيعة ويقولون أنها قضية أصولية ، وهي ركن من أركان الدين لا يجوز أقفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلي العامة وإرساله ، بل يجب تعيين الإمام بالنص ، هذا الإمام يكون معصوماً عن الكبائر والصغائر ، ولما كان الإمام نائباً عن النبي □ في حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان فلابد من تعيينه والنص عليه ، وقد عين الرسول □ علياً في مواضع تعريفاً وفي مواضع تصريحاً[2].

وتذهب الإمامية إلي أنه أشار إليه باسمه ونسبه وعينه ، وقلد الأمة إمامته وأقامه ونصبه لهم علماً ، وعقد له عليهم إمرة المؤمنين ، وجعله وصيه وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة[3].

(الإمامة أس الإسلام الضاحي ، وفرعه السامي وسموا بهذا الاسم نسبة إلي الإمام (الخليفة) لأنهم أكثروا من الإهتمام به وركزوا كثيراً من تعاليمهم حوله ، فكانوا يرون أن علياً يستحق الخلافة بعد النبي □ لا من طريق الكفاية وحدها ، ولا من طريق ما ورد عن النبي □ من أوصاف لا تنطبق إلا عليه ، بل من طريق النص عليه بالاسم ثم يرون أن الأئمة هم علي وأبنائه من فاطمة)[1].

---

[2] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 277.

[3] سعد القمي ، المقالات والفرق ، تقديم محمد جواد شكور ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1963م ، ص 16.

[1] أحمد امين ، ضحى الإسلام ، ج1 ، ص 212.

الاقتباس والتضمين من القرآن في مديحه:

معاني التشيع عند الصاحب تتصل مباشرة بآيات قرآنية شـرحها المفسـرون وبأحاديث للرسول عليه الصلاة السلام ، ووقائع تاريخية ثابتة.

تتميز قصائد الصاحب بالاقتباس من القرآن الكريم ، وقد عمد الصاحب إلـي هذا الاقتباس ، فهو يجد في الآيات الكريمة تعبيراً صادقاً عما يريد قوله ، لأن ذلـك يورث الكلام البهاء والوقار والرقة.

وعليه فإن القرآن الكريم يعد أحد المصادر الإسـلامية التـي اسـتقى منهـا الصاحب أوصافه ومعانيه ، فنحن يجب ألا يغيب عن بالنا أن الصاحب أولاً وقبل كل شيء عقائدي مسلم شيعي ، ولهذا كان يبحث بين الآيات القرآنية على ما يدعم وجهة نظره في مناصرة آل البيت.

وهو مغرم بالاستدلال والمنطق ، فهو لهذا بحاجة إلي لغة قوية السبك ، بينـة الدلالة من هنا جاء إهتمام الصاحب بالقرآن الكريم كمصدر أو ينبـوع يسـتقي منـه ليغذي قريحته الشعرية.

لم يكن الصاحب الشاعر الوحيد الذي أخذ عن القرآن ، بـل نجـد أن معظـم شعراء الصدر الإسلامي والأموي كانوا يتباهون في محاكاة القرآن الكريم في صوره ومعانيه.

ومن الأدلة التي اعتمدت عليها الشيعة في أحقية علي بالإمامة تأويلاً من عنـد أنفسهم ، كثرت الآيات التي زعموا أنها نزلت في علي ، ومنها واقعة تصديق علـي بخاتمه إلي مسكين وهو راكع في صلاته ، مشيراً إلي الآية الكريمة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[1].

ويؤكد فهم هذه الآية عند الصاحب قوله[2]:

هل مثل برك في حال الركوع وما زكـا كبـرك بِـرٌ لِلمزكّينـا

---

[1] سورة المائدة ، الآية 55.

[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 109.

أما الآثار التي أوردها الشيعة وربطوا فيها نزول الآية بعلي وحادثة تصدقه بخاتمه وهو راكع ، فقد ذهب ابن كثير إلي أنه لا يصح فيها شيء بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[3].

هذا بالإضافة إلي فهم الشيعة للآية لا يستقيم ومقررات الشرع. وقد بين ابن كثير بقوله: (وقد توهم بعض الناس إن هذه الجملة (وهم راكعون) في موضع الحال من قوله: ويؤتون الزكاة (أي حال ركوعهم) ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح ، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى)[4].

ومن الآيات التي اتخذت الشيعة أدلة لإثبات الإمامة لعلي آية المباهلة: في قوله تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[5].

فقال الصاحب في ذاك[1]:

أنتَ الذي قد باهلَ الطْـ   طُهر به حين ابتَهـل

وقوله[2]:

أفي رفعه يوم التَباهل قدره   وذلك مجد ما علمتَ مواظب

آية المباهلة هذه فقد أتت في مقام التخصيص فعرفت بمقامهم وفضلهم على غيرهم ، يقول الزمخشري: (لأنه خصت الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب ، وقدمهم في الذكر على النفس لينبه على لطف مكامنهم وقرب منزلتهم)[3].

فوجه الإستدلال في الآية كما زعموا أن المراد بأنفسنا (علي) لأن الشخص لا يدعو نفسه ، فمعناه أن علياً مساوٍ للرسول ☐ وهكذا تجب ولايته لكن المساواة التي

---

[3] أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ط3 ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، د. ت ، ج2 ، ص 71.
[4] المصدر السابق ، ص 71.
[5] سورة آل عمران ، الآية 61.
[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 69.
[2] المصدر السابق ، ص 187.
[3] الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، 1993م ، ج3 ، ص 426.

رتبوا عليها زعمهم لا تقبل ، فالرسول لا يساويه أحد ، والمسألة كلها لا علاقـة لها بالإمامة وإلا لزم أن تدخل فاطمة وقد كانت في الجماعة المباهل بها ولكن لا أحد يقول بإمامتها.

أيضاً من الآيات التي اتخذت منها الشيعة أدلة لإثبات الإمامة آية التطهير وهي قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[4].

عرفت بآية التطهير ، ففي هذه الآية تسـمية آل البيـت باسـمهم الصـريح المصطلح عليه – أهل البيت – فيما رواه أبو سعيد الخدري: نزلت هذه الآية في علي والحسن والحسين وفاطمة[1].

جاءت آية التطهير في مقام التعريف بآل البيت. وذكر الصاحب ذلك في شعره بقوله[2]:

قالت فمن تلاه يوم الكساء أجِـب   فقُلتُ أنجب مكسـو ومشـتمل

وقوله[3]:

ويا غداةَ الكساء لا تهني   عن شَرح علياه اذ تكسـاه

وقوله[4]:

أفي ضمه يوم الكساء وقولـه   هم أهلُ بيتي حين جبريل حاسب

وأن علي ثاني النبي عليه الصلاة والسلام في يوم الكساء إذ طهر ا   به مـن اشتمل فيوم الكساء ذلك هو اليوم الذي طهر فيه أهل الكساء واختصوا بتلك العصـمة التي تزعمها الشيعة.

---

[4] سورة الأحزاب ، الآية 33.

[1] القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، دار الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1946م ، ج15 ، ص 183.

[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 45.

[3] المصدر السابق ، ص 62.

[4] المصدر السابق ، ص 187.

وروت الشيعة أيضاً أن سورة: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ... إلخ)[1] نزلت في علي تدل بها على ولايته ، فقال الصاحب[2]:

علي له في هل أتى ما تلوتم   على الرغم من آنافكم فتفردوا

وروت الشيعة أيضاً أن سورة (التوبة) نزلت في علي – فذكر الصاحب ذلك بقوله[3]:

سورةُ التَوبةَ من وليها   بينوا الحق ومن ذا صرفا

كل تلك الآيات اتخذت منها الشيعة أدلة لإثبات الإمامة لعلي.

(1) سورة الإنسان ، الآية 1.
(2) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 36.
(3) المصدر السابق ، ص 246.

الاقتباس والتضمين من الحديث الشريف في مديحه:

معاني التشيع عند الصاحب تتصل مباشرة بأحاديث للرسول ضمن شـعره كثيراً من الأحاديث التي يفسرها الشيعة في أنها تدل على الإمامة ، في تلك القصـة الشهيرة بحادثة الغدير – وهو وادي بين مكة والمدينة – حيث نزل الرسول ثـم أمر بالصلاة الجامعة وخطب بعدها قائلاً: أولستم تعلمون أو تشهدون إني أولى بكـل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى ، قال: (من كنت مولاه فعلـي مـولاه ، اللهـم وال مـن والاه)[1]. فصاغ الصاحب حديث الرسول نظماً بقوله[2]:

قالَت فَمن ساد في يوم الغَديرِ أَبِن   فَقُلتُ من صار لِلاسلامِ خَير ولي

وقوله[3]:

ويا غَدير انبسط لِتُسمعهم   من كنتُ مولاه فَهو مولاه

وقوله[4]:

أَنتَ يوم الغَديرِ صدر الموالي   حين خَلفتَهم مـع الأعجـازِ

ومن الأحاديث أيضاً قولته عليه السلام لعلي: حين استخلفه الرسـول على المدينة في غزوة تبوك فقال: يا رسول ا تخلفني في النسـاء والصـبيان؟ فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسي؟ غير أنـه لا نبـي بعدي)[1]. وصاغ الصاحب في معنى هذا الحديث بقوله[2]:

وصيره هارونَه بـين أَهلـه   كهارون موسى فَابحثوا وتَأيدوا

وقوله[3]:

أَنتَ الذي أَصبح هـا   رون وموساك أَجـل

---

[1] الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني ، فتح الباريء ، دار المعرفة ، بيروت ، ط د.ت ، ج8 ، ص 67.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 45.
[3] المصدر السابق ، ص 62.
[4] المصدر نفسه ، ص 76.
[1] أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، شرح صحيح مسلم ، تحقيق د. يحي إسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط1، 1419هـ - 1998م ، ج4 ، ص 411 – 412.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 36.
[3] المصدر السابق ، ص 69.

وقوله[4]:

وكان هارون موسـى لـو تَبينَـه   من قد غَدا النَصب دون الرشد يعميـه

استخلاف النبي علياً واستخلاف غيره والإستخلاف في حياتـه واجـب يمارسه في الغزوات وفي الحج والعمرة وغير ذلك ، أما بعد الوفاة فـالأمر شـورى بينهم.

(أنه لا دلالة في الحديث على تعيين علي وتخصيصه بالإمامة بعـد الرسـول ، كما يقول الشيعة ، بل المراد منه ويفهم من سياقه أن الرسول استخلف علياً على أهله وعلى المدينة حينما توجه إلي غزوة تبوك)[5].

ويذهب ابن حزم إلي (أن هذا الحديث لا يوجب لعلي فضلاً على من سـواه ، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لم يل أمر بنـي إسـرائيل بعـد موسي عليهما السلام ، وإنما ولي الأمر بعد موسي عليه السلام يوشع بن نون ، كما ولي الأمر بعد رسول ا صاحبه في الغار)[1].

أكثر الشيعة القول في حديث المنزلة ، وكان وجه استدلالهم أن جميع المنازل الثابتة لهارون تثبت لعلي من نصرة ووزارة وخلافة في حياته وبعد وفاته ، والإمامة له. ورد أهل السنة ذلك بأن استخلاف هارون كان مقيداً بغيبة موسى فلمـا انقضـت الغيبة انتهت ، وفي علي أيضاً كانت خلافته حال غيبة النبي لا بعد وفاته[2].

ومن المعاني التي امتدح فيها الإمام علي ، وبيان مؤاخاته للرسول مشكلاً صورته من التراث الصحيح للحديث الشريف وما قاله الرسول عندما آخى بـين

---

[4] المصدر نفسه ، ص 145.
[5] أحمد محمد أحمد جلي ، دراسة عن الفرق ، ص 193.
[1] أبو محمد بن علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، -198م ، ج4 ، ص 94.
[2] شاه عبد العزيز غلام الدهلوي ، ألف أصله بالفارسية ، مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية إلي العربية غلام محمد محي الدين الأسلمي ، اختصره وهذبه السيد محمود شكري الألوسي ، حققه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1373هـ ، ص 230.

المهاجرين والأنصار بقوله: (أنت أخي في الدنيا والآخرة)[3]. وقال الصـاحب فـي ذلك[4]:

أَنتَ الذي آخـى الرسـو ل ظاهراً حـين احتَفَـل

وقوله[5]:

لم يعلموا أَن الوصي هو الـ ذي آخى النَبِي اخوةَ الانجـاب

أيضاً من الأحاديث التي تضمنها الصاحب في شعره حديث: (أنا مدينة العلـم وعلي بابها)[1]. وقد ذكره في مواضع كثيرة منها قوله[2]:

كان النَبِي مدينَةَ العلمِ التـي حوت الكمال وكنتَ أَفضلَ باب

وقوله[3]:

من بابه في العلمِ وهو مدينَةٌ ايهٍ وصاحب سره المخـزونِ

وقوله[4]:

قالت فَمن ذا غَدا باب المدينَة قُل فَقُلتُ من سأَلوه العلم لم يسـل

كان الإمام علي بن أبي طالب كرم ا وجهه عالماً بأمور الدين والدنيا التـي تعرض لها القرآن والسنة ، ولم يخفَ عليه شيء يمت إلي الإسلام بسبب قريـب أو بعيد ، وعلمه لا يشك فيه إذ هو علم أخذه برمته عـن الرسـول نتيجـة لطـول صحبته مع الرسول فقد ضمه إليه وهو طفل ، وبقي في كنفه بعد النبوة إلي أن لحـق النبي بالرفيق الأعلى.

---

[3] الترمذي محمد بن عيسى بن مسورة ، سنن الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1983م ، ج5 ، ص 303.
[4] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 70.
[5] المصدر السابق ، ص 100.
[1] محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990م ، ج3 ، ص 137.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 102.
[3] المصدر السابق ، ص 132.
[4] المصدر السابق ، ص 45.

والصاحب يمدح علياً عندما تسلم راية المسلمين في خيبـر واقـتحم حصـنها المنيع ، ويضمن حديث تسليم الراية لعلي رضي ا عنـه نظمـاً. والحـديث أورده البخاري في صحيحه أن رسول قال: (لأعطين الراية غداً رجلاً يفـتح ا علـى يديه ... فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسـول ا ، قـال: فارسلوا إليه فأتوني به فلما جاء بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن بـه وجع فأعطاه الراية)[1]. فضمن الصاحب ذلك بقوله[2]:

أَنتَ الذي قَد حمل الراية في كُل وهل

وقوله[3]:

ما باله قَد حملَ الرايةَ لَما انحرفوا

وقوله[4]:

فَأَخَـذتَ رايتَـه بكـف عـودت عادات نصرٍ لم تَـزل تُعتـاد

فالأبيات تحكي ما روي يوم فتح خيبر ، عندما أعطى الرسول الراية لعلي لفتح أحد الحصون العصية ، وكان علي أرمد فشفاه الرسول بتفلة ، وكان ذلـك لأن ا ورسوله يحبان علي والصورة في الأبيات هي صورة علي لم يتطرق إليها ما يشوه ملامحها.

أيضاً من الأحاديث التي ضمنها الصاحب في شعره حديث: (جاء رسـول ا بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: أين ابن عمك؟ ... قد سقط رداؤه عـن شـقه ، فأصابه تراب ، فجعل رسول ا يمسحه عنه ويقول: (قم أبا التراب ، قم أبا التراب))[5].

---

[1] الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباريء شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار السلام ، الرياض ، ط1 ، 1418هـ - 1997م ، ج7 ، ص 89 – 90.

[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 69.

[3] المصدر السابق ، ص 112.

[4] المصدر نفسه ، ص 124.

[5] أبو الفضل عياض بن موسى ، صحيح مسلم ، ص 419.

كناه رسول ا أبا تراب ، فكانت من أحب كناه إليه ، وكان يفرح إذا دعي بها ، فصاغ الصاحب حديث الرسول نظماً بقوله[1]:

أنا وجميع مـن فـوق التُـرابِ فداء ترابِ نَعل أبـي تُـرابِ

وقوله[2]:

روحـي فـداء أبـي تـرا بٍ انـه بحـر الفَوائِـد

لكن أعداء الإمام علي من بني أمية كانوا يعيرون بها الإمام ، ويسـبونه بهـا على المنابر ، ويجعلونها له نقيصة ووصمة[3] ولذلك قال الصاحب[4]:

قد لقبـوك أبـا تُـرابٍ بعـدما باعوا شَريعتَهم بِكـف تُـرابِ

وذكر ابن عمر بقوله: لقد أوتي ابن أبي طالب خصالاً لأن يكون لـي واحـدة منهن أحب إلي من حمر النعم: (زوجه الرسول ابنته ، وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر)[5] فنظم الصاحب فـي ذلـك المعنـى بقوله[6]:

ولا سد عن خَيرِ المسـاجِد بابـه وأبوابهم إذ ذاك عنـه تُسـدد

أن النبي أمر بسد جميع الأبواب التي كانت تفتح على المسجد حتى بـاب عمه العباس بن عبد المطلب إلا باب علي أبقاه مفتوحاً.

الوقائع التاريخية الثابتة في مديحه:

ويشير الصاحب إلي خصائص أخرى كثيرة عرفت عن الإمام علي وسـجلها تاريخ الإسلام تروي عن شجاعته وبسالته ، وأنه في طليعة المجاهدين ناصر الرسول وآزره ، ونام في فراشه ليقيه مؤامرة الكفار المتآمرين على قتله للحيلولة دون هجرته

---

(1) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 185.
(2) المصدر السابق ، ص 155.
(3) سعاد ماهر ، مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف ، دار المعارف ، مصر ، 1969م ، ص 18.
(4) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 104.
(5) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة بإختصار السند ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة التربية بدول الخليج ، ط2 ، 1987 ، ج1 ، ص 30.
(6) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 37.

إلي المدينة. وهو ذلك الإمام الذي لم يسجد قط لصنم فيقول الصاحب مشكلاً صورته من الواقع وتاريخ الإسلام بقوله[1]:

وباتَ على فَرشِ النَبِـي مُتَسـمحاً بمهجته إذ أَجلَبـوا وتَوعـدوا

وما عرف الأصنام والقَوم سـجد لَها وهو في اثر النَبِي يوحـد

فقد كثرت أحاديث الرسول في علي خصوصاً في فضله ومحبته فهو رجل اجتمعت له المناقب الكثيرة لقول ابن عباس كان لعلي ثماني عشرة منقبة مـا كانـت لأحدٍ في هذه الأمة[2].

كان الصاحب ينشد القصائد الطويلة في مدح الإمام علي كرم ا وجهه وبيان فضائله وعبر عما رواه التاريخ عن جهاده وبلائه في الغزوات التـي شـارك فيهـا بقوله[3]:

مـــن كمـــولاي علـــي في الـوغى يحمـي لِظاهـا

وخُصـــى الأبطـــال قـــد لا صـــقن لِلخَـــوف كُلاهـــا

مـــن يصـــيد الصـــيد فيهـــا بِـــالظُبى حـــين انتَضـــاها

انتَضـــاها ثُـــــم أمضــــا هـــا علَـــيهم فَارتَضـــاها

مـــن لَـــه فـــي كُـــل يـــومٍ وقَفـــــاتٌ لا تُضـــــاهى

كَــم وكَــم حــربٍ عقــامٍ قَــد بِالصـمامِ فاهــا

يـــا عـــذولي علَيـــه رمتُمـــا منّـــي ســـفاها

اذكُـــرا أَفعـــالَ بـــدرٍ لَســـتُ أَبغـــي مـــا ســـواها

اذكُـــرا غَـــزوةَ أُحـــدٍ انـــه شَـــمس ضـــحاها

اذكُـــرا حـــرب حنـــينٍ انـــه بـــدر دجاهـــا

اذكُـــرا الأَحـــزاب تُعلـــم انـــه لَيـــثُ شَـــراها

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 36.
[2] أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، ص 178.
[3] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 115.

مدحه بما أثر عنه عن محاسن جمة وخصال حميدة ، وتأييد ونصر للرسول □ ، وشجاعة وبلاء حسن في قتال الكافرين ، حيث أبرز محاسن علي وفضله وبذله الكبير في الإسلام.

إننا نراه يعود للتاريخ الإسلامي مستقياً منه ذكر المعارك التي خاضها على في سبيل توطيد أركان الدين والمآثر التي اختص بها علي دون سواه من سائر الصحابة والأعمال والتضحيات التي كان يمارسها علي في سبيل النبي محمد □. فعلي هذا لا تفوته معركة إلا وأبلى فيها بلاءً حسناً ، كل هذه الأعمال المجيدة والبطولات يذكرها الصاحب بشعر يذوب رقة وعذوبة ، قال هذا في قصيدة يضمنها الكثير من هذه اللمحات التاريخية نذكر منها قوله[1]:

إِن عليَّاً علا إلى شَرفٍ	لو رامه الوهم زل مرقاه
كم صارمٍ جاءه على ظَمأٍ	فَحين جد القراع أَرواه
كم بطلٍ رامه مصالتَةً	رماه عن باسه فَأصماه
كم محربٍ جاء غَير مكتَرثٍ	أَلقاه للأرض إذ تَلَقّاه
ما ملك الموت غَير تابع ما	يسمه سيفُه بيمناه
صولتُه في هياجه أَجل	أَجل فَإن الحتوفَ تخشاه
يا يوم بدرٍ أَين موافقَه	لِيعرفَ الناصبون مغزاه
ويا حنين احتفل لِتنبئ عن	مقامه والسيوفُ تَغشاه
يا أَحد اشهد بحق مشهده	واسع لتفصح بِقَدرٍ مسعاه
يا خَيبر انطق بِما خبرتَ وقُل	كيفَ أَقام الهدى وأَرضاه

ذلك هو المقاتل الذي يعجل على عدوه فما يلبث أن يرديه قتيلاً ، ثم يشد على الأعداء فيكشفهم ، أما السيف فلابد أن يرتوي فما كان صاحبه ليتركه ظمآناً ، فجدير بهذا السيف أن يروى ، وجدير بصاحبه أن يمدح ، فالصورة يبرز فيها الشجاعة.

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 61 – 62.

مدح الصاحب علي وسرد كثيراً من مناقبه في شعر بديع ودافع عن حقوقه في الخلافة دفاعاً حاراً مؤثراً والشيعة يعتقدون بالوصي الذي وصاه النبـي بالقيـام بالأمر من بعده ، والوصي كلمة من لوازم الشيعة فإذا ورد ذكرها لـم يتبـادر إلـي الذهن غير عقيدة الشيعة ، لذلك يقف منها الناس على حذر ، ولكن ربما كان الشاعر يعني بها وصية الدين فالرسول قد جعل علياً وصياً على المسلمين في أمر الـدين لا أمر الخلافة ، والشاعر يقرن حبهم بحب ا ومن أحـب قومـاً بعـث معهـم ، والصاحب كأثر الشيعة يعتبر أن الحق لعلي بالخلافة ، ويؤمن إيماناً كلياً أن النبي قد أوصى له بها وهو لذلك لا يمتنع عن تسمية علي بـ (الوصي) فيقول مخاطباً[1]:

لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	غَلَبَ الخضارم كل يومٍ غلابِ
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	آخى النَبي اخـوةَ الانجـاب
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	سبقَ الجميع بسـنةٍ وكتـاب
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	لم يرض بالأصنامِ والأنصاب
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	آتى الزكاةَ وكان في المحراب
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	قد سام أهلَ الشرك سوم عذاب
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	أزرى ببدرٍ كُل أصـيد آبـي
لم يعلموا أن الوصي هـو الـذي	ترك الضلالَ مقَالـلَ الأنيـاب
مالي أقص فَضائِلَ البحـرِ الـذي	علياه تَسبِقُ عد كُـل حسـاب

وأخذ يعدد في مناقب الإمام علي رضي ا عنه منقبة منقبة إلي أن ختم قولـه بمالي أقص فضائل البحر ، شبه الإمام في العطاء بالبحر.

كان علي ذلك الفارس الذي يقدم حين تحجم الفرسان ، ففي غـزوة الأحـزاب برز من معسكر الأحزاب عمرو بن عبدود مقاتلاً تحسب له الأبطال حساباً كبيـراً إذ كانت تعرف قدره ، وكان عمر يعرف قدر نفسه فبرز للمبارزة ، فسرعان مـا لبـى

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 100 – 101.

فارس الحومة النداء ، أتى علي عمراً مجيباً نداءه على تيه وبصيرة فإمـا نصـراً أو شهادة تكفل له الفوز لكنه كان موقناً من النصر بضربة لها أثران ، تقيم نواحاً وتبقي ذكرى عند هز السيوف في المعارك وألتقى الفارسان وثارت عجاجة حجبتهما عـن الأبصار وانقضت لحظات ما كان أثقلها على الصحابة فلم تنفرج إلا حينمـا سـمعوا التكبير فعلموا أن صاحبهم قد فعلها أيضاً[1]. فلم يكن المقتول بالرجل الذي يمر قتلـه دون ضجيج ولم يكن عندئذٍ غير الشعر فصور الصاحب ذلك بقوله[2]:

هل مثلُ بأسك مع عمروٍ وقد جبنـوا وحاذَروا الموتَ تَعجيلاً وتَحييـنـا

وقوله[1]:

أَنتَ الذي بِالخَنـدق اشـ ـتَد لعمـروٍ قاضـمحل

ويمضي بنا التاريخ سيراً في ركب الجهاد وتحملنا خيولـه المسـرعات إلـي ميدان آخر لم تكن المواجهة فيه بين إسلام وكفر ، بل بين دين جديد ودين قديم ، ولا يغيب الفارس عن العين فهو هناك حين ألف وجوده ، إما أمام فارس يجالـده أو راء فارس يطارده ، أو عائداً بعد أن أجهز على فارس ، فدائماً كان علـى موعـد مـع الفرسان ، إذ لا يطيب لهم قتال إلا معه ولا تطيب له حياة إلا هكذا. فبعد الأحـزاب كان لرسول ا ثأر مع يهود المدينة الذين نقضوا العهود وظنت اليهود – والظن لا يغني عن الحق – إن فارسها مرحب حاميها ، وظن الرجل أن بطولته فريدة فأنشأ يقول مفتخراً[2]:

قد علمت خيبر أنّـي مرحـب شاكي السلاحِ بطَلٌ مجرب

هل كان لعلي أن يسمع ذاك الفخر ويسكت؟ كيف وهو الأعلى كعبـاً بنسـبه ودينه وبطولته؟ وما أسرع ما رد تلك المفاخرة قائلاً[3]:

---

[1] الواقدي محمد بن عمر بن واقد ، المغازي ، (ت مارسون جونس) عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1404هـ ، ج2 ، ص 496.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 108.
[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 69.
[2] ابن الأثير عز الدين علي بن الحسن بن علي بن المكرم ، الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت 1989م ، ص 220.
[3] الواقدي ، المغازي ، ج2 ، ص 654.

أنا الذي سمتني أمي حيـدره أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليثٌ بغابات شديد قسوره

سمته أمه حيدره لأنها كانت تعده لما تعده الأسود أشبالها فغدا الشبل ليثاً ضراه عيش الجهاد وميادين القتال ، لا يقتل الفرسان فرادى بل يكيلهم كيلاً وفي كل ميـدان كان يحمل الراية لرسول ا . فنظم الصاحب في هذه الواقعة بقوله[1]:

وفي مرحبٍ لو يعلمـون قناعـةٌ وفي كل يومٍ للوصي مراحـب

وفي خَيبرٍ أخبـاره الغـر بينَـت حقيقَتَها والليثُ بالسيف لاعـب

وقوله[2]:

أنتَ الذي فـي مرحـبٍ حكـم أطـراف الأسـل

مدح الشاعر علي بن أبي طالب ذاكراً الكثير من محامده ومـآثره وأفضـاله وسبقه إلي الإسلام وملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام ، وتكريمه فـي القـرآن وأشار الشاعر كذلك إلي جمع الإمام علي للقرآن وإلمامه به وجهاده ، إلي غير ذلـك من مآثر أمير المؤمنين علي كرم ا وجهه التي لا تعد ولا تحصى بقوله[3]:

أنتَ الامام ومنظـور الأنـامِ فمـن يـرد مـا قُلتُـه يقمـع براهينـا

هل مثل فعالك في يوم الفراشِ وقـد فـديتَ بـالروحِ ختّـام النَبيينـا

هل مثلٌ سبقك في الاسلامِ ان عرفوا وهـذه الخُصـلَةُ الغَـراء تَكفينـا

هل مثلٌ علمك ان زلّوا وان وهنـوا وقد هديتَ كما أَصـبحتَ تَهـدينا

هل مثل سيفك في يوم الضرابِ وقد دارت رحى الحرب تَجديعاً وتَوهينا

هل مثل فعالك في بدر وقد حمشَـت نَفس الوغى وأسالَت سـيلَها حينـا

هل مثلَ صرعك أعلام الضلال ولم تَنفـك تفلـقُ هامـات الأضـلّينا

هل مثلٌ يومك في أحد وقد عُرِفَـت عصائِب الشرك تَغييـراً وتَعيينـا

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 186.
[2] المصدر السابق ، ص 69.
[3] المصدر نفسه ، ص 107 – 108.

هل مثلُ قلعك باب الكُفـرِ تَحذُوُـه كأنـه قُلـةٌ مـن رمـي رامينـا

هل مثلُ فاطمـةَ الزهـراء سـيدةٌ زوجتَهـا يـا جمـالَ الفاطميينـا

هل مثل نَجلَيك في فَخرِ وفي كَـرمٍ اذ كُونا من بلال المجـد تَكوينـا

هل مثل جمعـك لِلقُـرآن تَعرِفُـه لَفظـاً ومعنـىً وتَـأويلاً وتَبيينـا

إلي قوله[1]:

وما أمـل مقـالاً فـي منـاقبهم أسوقُه ما تَلا تشـرين تشـرينا

يا رب سهل زيـاراتي مشـاهدهم فَان روحي تَهوى ذِاك الطينـا

يا رب صير حياتي في محبـتهم ومحشَري معهم آمـين آمينـا

فجمع في تصويره لعلي بين الدفاع بالدين بقوة الروح ، والدفاع بالشجاعة بقوة الجسد ، فصوره محارباً فذاً ، ومؤمناً كريماً ، وختم قصيدته بالتوسل بآل البيت بقوله أنه لا يمل التحدث في عد مناقبهم والدعاء بأن يسهل ا له زيارة قبورهم لأن روحه تهوى ذلك الطين الذي دفنوا فيه وأن تصير حياته كلها في حبهم ويحشر معهم.

وفي هذه القصيدة التالية قد أعطانا إشارة إلي اعتناقه مذهب الاثنـي عشـرية ذاكراً الأئمة واحداً بعد الآخر مما لا يدع مجالاً للشك في أنه كان شيعياً اثنا عشرياً ، وعرفنا من قبل أمر النص الذي قالت به الشيعة ، وأن ذلك النص ينتقل في أبناء علي من بعده هذا النص جاء مصوراً في الشعر ويتمثل في قول الصاحب[2]:

يـا زائِـراً قَـد قَصـد المشـاهدا وقطـــع الجبـــالَ والفَدافـــدا

فَـأبلغ النَبِـي مـن سـلامي مـالا يبيـد مـدةَ الأيـامِ

حتّـى اذا عـدتَ لِـأرض الكوفَـه البلـدة الطـاهرة المعروفَـه

وصرتَ في الغَري في خَير وطَـن سلم على خَير الورى أبي الحسـن

ثُمـتَ سـر نَحـو بقيـع الغَرقَـد مسـلماً علـى أبـي محمـد

وعـد إلـى الطـف بكَـربلاء أهـد سـلامي أحسـن الاهـداء

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 111.

[2] المصدر السابق ، ص 205 – 207.

لِخَير من قَد ضمه الصعيد   ذاك الحسين السيد الشَهيد

واجنَب إلى الصحراء بالبقيع   فَثَم أرض الشرف الرفيع

هناك زين العابدين الأزهر   وباقر العلم وثُم جعفَر

واجنَب إلى بغداد بعد العيسا   مسلما على الزكي موسى

واعجل إلى طوس على أهدى سكن   مبلغاً تَحيتي أبا الحسن

وعد لِبغداد بِطَير أسعد   سلام على كنز التُقى محمد

وأرض سامراء أرض العسكرِ   سلام على علي المطهرِ

والحسن الرضي في أحوالِه   من منبع العلوم في أقوالِه

فَإنهم دون الأنام مفزعي   ومن إليهم كل يوم مرجِعي

في الأبيات تفصيل للنص الذي آمنت به الشيعة في سوق الإمامة في أبناء علي ، وفي الأبيات تتجلى صورة الأئمة ، عن فضائل لا يجحدها جاحد لولا أنها أتت في ذلك الإطار المذهبي ، فسيرة كل واحد من أولئك نقية ناصعة. فينادي الصاحب مبلغاً السلام على مشاهد الأئمة ففي البيت الرابع ذكر الإمام أبو الحسن علي ابن أبي طالب ، وفي البيت الخامس ذكر أبا محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ، ثم يأمره بالعودة إلي الطف بكربلاء ليبلغ سلامه إلي خير وسيد الشهداء الحسين بن علي ثم يبلغ سلامه إلي أبي محمد على بن الحسين (زين العابدين) ثم ذكر الإمام أبي جعفر محمد بن علي (الجواد الذي قيل أنه كان رفيع القدر كأسلافه ذكياً طلق اللسان ، قوي البديهة ، سخياً)[1] ، ثم ذكر الإمام أبي الحسن بن علي (الزكي) وذكر أيضاً الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي ثم ذكر الإمام أبي الحسن علي بن موسي (الرضي).

---

[1] الزركلي ، الأعلام ، ط5 ، ج6 ، ص 271.

هؤلاء هم الأئمة الذين ذكرهم الصاحب ، (ونعتقد أن الأئمة الذين لهـم صـفة الإمامة الحقة هم مرجعنا في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالإمامة اثنا عشـر إماماً ، نص عليهم النبي جميعاً بأسمائهم ، ثم نص المتقدم منهم على من بعده)[2].

ولعلنا نلاحظ أن نظرية الوصاية كانت أوسع مدى في شعر الصاحب فلم يكن الصاحب في مدحه متسلحاً بالتقية كما فعل بعض شعراء الشيعة. لأنه كـان وزيـراً عاش في ظل دولة بني بويه الشيعية ، ثم لم يكن الصاحب ذلك الرجل الـذي ينسـى عقيدته ورأيه ، فهو يجاهر بعقيدته ، ويردد رغباته الشيعية في شعره.

---

[2] محمد احمد التركماني ، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1406هـ - 1986م ، ص 11 – 12.

المبحث الثاني
رثاؤه ومظاهر التشيع فيه

الرثاء هو تعداد مناقب الميت والتوجع عليه ، والتفجع من فراقه ، وهو فن قديم ، فقد كان الجاهليون يرثون أبطالهم في قصائد حماسية يريدون بها أن يثيروا قبائلهم لتأخذ بثأرهم ، فكانوا يمجدون خلالهم ويصفون مناقبهم التي فقدتها القبيلة فيهم ، وكان يشرك الرجال في ذلك النساء ، فقد كن ما زلن ينحن على القتيل حتى تثأر القبيلة له ، ومثال ذلك الخنساء التي ظلت تذكر أخاها صخراً وتعدد مآثره ، ولعل من الطريف أن بعض شعرائهم كان إذا أحس داعي الموت ندب نفسه ووصف ما يصنعه به أهله بعد الموت.

وبعد إنبلاج فجر الإسلام هب شعراء المسلمين يرثون شهداءهم الذين استشهدوا دفاعاً عن مباديء الدين الحنيف ، ورفعاً لرايات الإسلام ، وعندما ظهرت الأحزاب السياسية أخذ شعراء كل فريق يرثون قتلاهم ويظهرون الأسى والحزن على فراقهم ويعددون مناقبهم ويبرزون سجاياهم وجلائل أعمالهم.

ويروي الرواة (أن إعرابياً سأل الأصمعي ما بال المراثي أفضل أشعاركم؟ فأجاب: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة)[1] أي لأنها صادرة عن عاطفة حارة ، خالية من كل تكلف.

كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعاً قوياً للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات ، وتذيب القلوب ، وتفتت الأكباد ، ولا غرابة لذلك فهي صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب ، والأشلاء التي تناثرت وتركت على الأرض طعاماً للطير ، والجثث التي أحرقت وذريت في الهواء ، والأجسام التي صلبت وبقيت مصلوبة أياماً تنبعث منها الروائح الكريهة ، والقبور التي هدمت وحرث مكانها وزرع. وقد كثر الشعر في رثاء آل البيت كثرة

---

[1] أحمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط دار الفكر العربي ، د. ت ، ج30 ، ص 162.

هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأفئدة ، فكان للأدب العربي من ذلك ثروة لا تقدر[1].

ومن الشعراء الذين ساهموا بنصيب في تصوير مأساة الحسين واستشهاده ، الشاعر ديك الجن ويتفق مع الصاحب في تصوير هذا الموقف العصيب ، بقوله[2]:

جاؤوا برأسك يا ابن بنْت محمدٍ   متَرملاً بدمائِه تَرميلا

قَتَلُوك عطْشَاناً ولَما يرقُبوا   في قَتْلك التنزيلَ والتّأويلا

ومن جيد قول دعبل في رثاء الحسين قوله[3]:

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيه   يا لِلرجال على قناةٍ تُرفَع

والمسلمون بمنظَرٍ وبمسمعٍ   لا جازِع من ذا ولا متَخَشع

أيقَظتَ أجفاناً وكُنتَ لها كَرىً   وأَنَمتَ عيناً لم تَكُن بِك تَهجع

كُحلَت بِمنظَرِك العيون عمايةً   وأَصم نَعيك كُل أذنٍ تَسمع

ما روضةٌ إلّا تَمنت أنها   لَك مضجع ولِخَط قَبرِك موضع

والموضوع الثاني الذي نظم الصاحب فيه شعره العقدي الشيعي بعد مديح آل البيت هو رثاؤهم.

لقد انتهت حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على النحو الحزين الغادر ، وانتهت بعده حياة الإمامين الحسن والحسين الواحد منهما بعد الآخر. وقتل الحسين قد أثر في قلب كل منصف من المسلمين ، وما قد حل بحثمانه الطاهر من تمثيل زاد المسلين أسىً وأسفاً على سبط الرسول وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، ويخص الصاحب مأساة الإمام علي كرم ا وجهه وابنه الحسين بكثير من العناية والتفصيل فيصور يوم كربلاء تصويراً حزيناً ويذكر مصارع آل البيت من الرجال والنساء بقوله[1]:

---

[1] محمد سيد كيلاني ، التشيع في الأدب العربي ، ص 90.

[2] ديك الجن ، الديوان ، جمع وتحقيق أحمد مطلوب ، عبد الله الجبوري ، ط دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1964م ، ص 186.

[3] دعبل ، الديوان ، ص 225 – 226.

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 85 – 86.

دبــت عقـــاربهم لصـــنو نبـــيهم	فاغتاله أشقى الــورى بتختــل
أجروا دماء أخــي النبــي محمــدٍ	فلتجرِ غرب دموعها ولتهمــل
ولتصــدرِ اللعنــاتُ غيــر مزالــةٍ	لعداه من ماضٍ ومن مســتقبل
لــم تشــفهم مــن أحمــدٍ أفعــالهم	بوصيه الطهرِ الزكي المفضــل
فتجـــردوا لبنيـــه ثـــم بناتـــه	بعظائمٍ فاسمع حــديثَ المقتــل
منعوا حسين الماء وهــو مجاهــد	في كربلاء فنُح كنوحِ المعــول
منعوه أعذب منهــلٍ وكــذا غــداً	يردون في النيرانِ أوخم منهــل
أيحز رأس ابنِ الرسول وفي الورى	حي أمــام ركابــه لــم يقتــل
تُســبى بنــاتُ محمــدٍ حتّــى كــأ	ن محمداً وافــى بملــة هرقــل

إلى قوله[2]:

ناحت ملائكــةُ الســماء علــيهم	وبكوا وقد سقّوا كؤوس الــذبل
فأرى البكاء مدى الزمانِ محلــلاً	والضحك بعد السبط غير محال
قد قلتُ للأحــزانِ دومــي هكــذا	وتنزلــي بالقلــبِ لا تترحلــي

صور الشاعر مقتل الإمام علي كرم الله وجهه وكيف أجروا دماءه ولكنهم لـم يكتفوا بقتله بل تجردوا لبنيه وبناته ، وقد غضب عليهم الملائكة الزهر في السموات ، ونجده أظهر الحزن على السبط الحسين بن علي وقال البكاء مدى الزمان عليه محللاً والضحك من بعده محرم ، وقال للأحزان دومي ولا ترحلي من قلبي بل أقيمي فيه.

وفي أشعاره التي تصور مصرع الإمام الحسين – رضي الله عنه – معـاني صادقة معبرة عن شعور صادق بالتشيع مما تهز القلوب حيث يقول[1]:

لعنــــت أميــــةُ انهــــا	أهــلُ الضــلالة والافــاك
قـــد حاربـــت خيـــر الـــورى	والــدين مــذ جحــدوه شــاكي

---

[2] المصدر السابق ، ص 87.

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 138.

وتَعمـدوا قَتـلَ الحسيـن فَنـاظر الاسـلامِ بـاكي
سـبيت بنـاتُ محمـدٍ وسـتورها رهـن انهتـاك
يـا لَيتَنـي فـي كـربلا ء أنـوح ان بكـت البـواكي
هـذا ولـو شـاهدتُها لَوهبـتُ روحـي لِلهـلاك
يـا أرضـها أفـدي ذرا ك ومهجتـي تَفـدي ثـراك

تشير الصورة إلي ما عرف من أخبار كارثة كربلاء عندما تعمد جـيش بنـي أمية قتل الحسين فصور لنا الصاحب هذه الحادثة في صورة محزنة مؤلمة بما فيهـا سبي بنات محمد □ وقتل الحسين في كربلاء ، وقال مقسماً ليتني إن بكت البـواكي هذا أشد الحزن على هذه المصيبة الكبيرة ، وهذا نلمس فيه تحسره وتألمه الواضـح عليها.

إذا نظرنا إلي القصيدة التالية نجدها تارة مرثية ، وتارة يتوسـل فيهـا بـآل البيـت ، وتارة يرمي مخالفي الإمام علي كرم ا وجهه وقاتـل الحسـين بـالكفر والحرمان من النعيم ، ونجده في هذه المآسي والويلات التي واجهت أبنـاء فاطمـة الزهراء رضي ا عنها وهذه المرثية توضح مدى حبـه للإمـام الأعظـم الأكـرم المصطفى □ والد فاطمة وجد الحسن والحسين ، وقد صور فيها ما نزل بـالعلويين من كوارث في كربلاء نائحاً على قتلاهم وخاصة الحسين نواحاً مؤثراً ، وهذه تعـد من روائع المرثيات ، قال فيها[1]:

بِرئتُ من الأرجاسِ رهـط اميـةٍ لما صح عندي من قَـديم عـدائِهم
ولُعنهم خَيـر الوصـيين جهـرةً لِكُفرِهم المعدود فـي شَـر دائِهـم
وقَتلُهم السـادات مـن آل هاشـمٍ وسـبيهم عـن جـرأةٍ لِنسـائِهم
وذَبحهم خيـر الرجـال اروهـةً حسين العلي بِالكُرب في كربلائهم
وتَشـتيتهم شـملَ النَبـي محمـدٍ لما ورثوا من بغضه فـي قَنـائِهم

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 181 – 182.

وما غضبت الّا لأصـنامها التـي	أذلـت وهـم أنصـارها لشـقائهم
فيا رب جنبني المكاره واعفُ عن	ذُنوبي لما أخلصتُه مـن ولائهـم
ويا رب أعـدائي كثيـر فـردهم	بغــيظهم لا يظفــروا بابتغــائهم
حسين توسل لي إلى الـلـه انـنـي	وسائله لم يخـشَ مـن غـاوائهم

إن مقتل الحسين كان مأساة مروعة بالنسبة للمسلمين في ذلك العهـد ، علـى اختلاف طوائفهم ، وليس كذلك بالنسبة لشيعة علي فحسب ، فالحسـين كـان حفيـد الرسول صلوات الله عليه وقتله على هذه الصورة البشعة مما يثير الحميـة الدينيـة والشعور الراسخ في نفوس المؤمنين وقد أنب يزيد بن معاوية نفسه أثر قتله الحسـين فغضب على قاتله (عبيد الله بن زياد) قائلاً: (... بغضني بقتله إلي المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً)[1].

أيضاً من مراثي ابن عباد المرثية النادرة المثال في الإمام الحسين رضـي الله عنه ، وقد يكون لشناعة الحادث وموت سبط النبي ظمآن ، وما صحب الحادث مـن تنكيل بالشيوخ وطواهر النساء وتقتيل الأطفال أثر في إكثار الشعراء ومنهم الصاحب – في وصفه واستبشاعه بقوله[2]:

عين جودي على الشـهيد القتيـل	واتركي الخد كالمحل المحيـل
كيفَ يشفي البكاء في قتـل مـولا	ي امــامِ التنزيــل والتأويــل
ولو ان البحار صـارت دمـوعي	ما كفتنـي لمسـلم بـن عقيـل
قــاتلوا الـلــه والنبــي ومــولا	هم عليا اذ قاتلوا ابن الرسـول
صرعوا حولـه كواكـب دجـنٍ	قتلـوا حولـه ضـراغم غيـل
اخـوة كـل واحـدٍ مـنهم ليـ	ـثُ عرينٍ وحد سـيفٍ صـقيل
أوسعوهم طعناً وضـرباً ونحـراً	وانتهاباً يا ضـلةً مـن سـبيل
والحسن الممنـوع شُـربةَ مـاءٍ	بين حر الظبي وحـر الغليـل

---

[1] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج7 ، ص 19.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 261 – 263.

مثكّلٌ يابنـه وقـد ضـمه وهـ ـ	و غَريق من الـدماء الهمـول
فَجعـوه مـن بعـده يرضـيعٍ	هل سـمعتُم يمرضـعٍ مقتـول
ثُم لَم يشـفهم سـوى قَتـل نَفـسٍ	هي نَفـس التَكبيـرِ والتَهليـل
هي نَفس الحسينِ نَفس رسـول ال	لَه نَفس الوصي نَفـس البتـول
ذَبحوه ذَبح الأَضـاحي فَيـا قَلـ ـ	ب تَصدع على العزيزِ الـذَليل
وطَـأوا جِسـمه وقَـد قَطعـوه	ويلَهم من عقـابِ يـومٍ وبيـل
نَصـبوه علـى القَنـا فَـدمائي	لا دموعي تَسـيلُ كـل مسـيل
واستَباحوا بنات فاطمـة الزهـ ـ	راء لما صرخن حـولَ القَتيـل
حملوهن قَد كُشـفن علـى الأقـ ـ	تابِ سـبياً بِـالعنف والتَهويـل
يـا لَكـربٍ بِكَـربلاء عظـيمٍ	ولـرزءٍ علـى النَبِـي ثَقيـل

إن قتل الحسين - رضي ا عنه – على هذه الصورة الغادرة – والحسين هو من هو ديناً ومكاناً بين المسلمين ، لا بد أن يلهب المشاعر ، ويرمـق الأحاسـيس ، ويطلق الألسن ، ويترك في النفس الإسلامية أثراً حزيناً دامياً ، ولابد أن يكبر النـاس هذا التنكيل الجائر ، والتمثيل الشائن بعترة الرسول ، وسلالته وفلـذات كبـده ، وقرة عينه ويروا فيه إذايه له ، وكفراناً بحقه ، وتعرضاً لغضبه ، فالشاعر يعبر عما رواه التاريخ عن مصرع الحسين في تلك الحملة الغادرة عندما منع الحسين المـاء ، حيث مات آل النبي عطشى على شط الفرات ، ويقول الصاحب أهكذا يكون جزاء رسول ا في سبطه وآله؟ ويتساءل هل سمعتم بمرضع يقتل؟ بل أنهم ذبحوا ذبح الأضاحي ، يذبح الرجال وتساق النساء سبيات وهن مكشوفات الوجوه محمولات على ظهور الإبل دون مهاد يسترحن عليه ، فيا للظلم ويا للقسوة ! إن هذا لكـرب عظـيم وكان لمقتله وصلبه رنة وأسى في شعر الصاحب.

ويعقد الشاعر صورة مقارنة بين حال آل البيت الـذين قُتلـوا وتشـردوا وآل يزيـد ، وديار رسول ا التي خلت من آلها ، وآل يزيد يسكنون القصور صينت

بناتهم وبنات رسول ا □ هائمات في الخلاء ويرسم الشاعر صورة يقارن فيها بين المصير الذي آلت إليه بنات الوحي وسبيهن في الفلوات وبين بنـات الـدعى وهـن مصونات في القصور هذه الصورة تقدم إحتجاجاً صارخاً فكيف يعيش الأدعياء فـي ترف ورغد من العيش ويشرد أبناء الرسول □ يلازمهم الخوف والعذاب والشـقاء ، ويظهر ذلك في قوله[1]:

هـم أكـدوا أمـر الدعـ	ي يزيـد ملفـوظ السـفاح
فسـطا علـى روح الحسيـ	ن وأهلـه جـم الجمـاح
صـرعوهم قتلـوهم	نحـروهم نحـر الأضـاحي
يـا دمـع حـي على انسـفا	كٍ ثُـم حـي علـى انسـفاح
في أهـل حـي على الصـلا	ة وأهـل حـي علـى الفَـلاح
يحمـي يزيـد نسـاءه	بـين النضـائد والوشـاح
وبنـاتُ أحمـد قـد كُشفـ	ن علـى حـريم مسـتباح
لَيـتَ النَـوائح مـا سكتـ	ن عـن النياحـة والصـياح

وفي قصيدة أخرى تصور مصرع الحسين أيضاً ، لم يخرج الصـاحب عـن طريقته في التعبير عن تشيعه محاولاً إثارة العاطفة واستثارة النخوة ، فيقول[2]:

لَهيب بقلبي حـين أذكـر كـربلا	فَيهلكني بعد النَحيـبِ نَحيـب
نَحيب اذا قيـلَ الحسـين وقتلُـه	يزيد وفي قلبي الحزين وجيب
وجيب أراه واجبـاً بعـد سـادةٍ	تُغادر صرعى والجميع غَريب
غَريب بأرض الطف تُسبى نساؤه	وزينب ولهى والمراد جـديب
جديب ولكن الزمـان سينقضـي	ويقبلُ نصر الله وهـو قريـب
قريب كقُربى مـن علـي ولايـةً	بها كُلما خفتُ الـذنوب أنيـب

---

(1) الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 201.
(2) المصدر السابق ، ص 168.

يخص الصاحب مأساة الحسين بكثير من العناية والتفصيل فيصور يوم كربلاء تصويراً حزيناً ، وتحدث عن شهيد الطف بكربلاء ومما وقع لابن بنت محمـد □ ، واستغرب سبي النساء ويؤكد أن نصر ا قريب كقربه من علي ولايةٍ.

أذكى مقتل الحسين نار التشيع ووحد صفوف الشيعة وانتقل بمبادئهم من طور إلي طور ، من طور النظر إلي طور العمل بعـد أن امتزجـت دمـاؤهم بمبـادئهم وتغلغلت في قلوبهم عقائدهم وأصبح الموقف مشحوناً وعلى وشك الإنفجار. ومن قبل الحسين لقى الحسن مصرعه بالسم ومن قتلهما هو الذي أودى بأبيهما من قبل غيلـة فما أشد حزن الشيعة وما أجدرهم بأن يتأسوا بهم طلباً للسلوى والعزاء[1].

سلك الصاحب سبيل شعراء الشيعة القدماء في الرثاء ولكنه ركز فـي رثـاء الحسين ، ربما كان ذلك لشناعة حادث مقتله ، ومن يقرأ قصائد الصاحب يعرف مدى صدقه في تشيعه ، ومدى حبه لآل البيت ، وإخلاصه لهم ، وإيمانه بعقيدته ، ومهمـا كان الشاعر متكلفاً في القول ومصطنعاً في العاطفة فلا يمكن أن يأتي بهـذا العمـل الفني في مثل هذا القالب المحبوك المحكم ، وفي تلك الجزالة والرصانة والقدرة على إسالة الدموع وتحريك الأحزان في النفوس لما حاق بآل البيت من ظلم وغبن.

---

[1] النعمان القاضي ، الفرق الإسلامية ، ص 349.

المبحث الثالث
مظاهر الإعتزال في شعره

نرى أن الصاحب بن عباد ، لم يأل جهداً في نشر مذهب الإعتزال ، نصر الإعتزال وقرب إليه المعتزلة.

أن المعتزلة في القرن الرابع وفي ظل الحكام من بني بويه قد استطاعوا أن يستعيدوا شيئاً من مكانتهم القديمة ، وأن يستردوا قليلاً مما فقدوه بعد نكبتهم على يد المتوكل ، فنرى كثيراً من رجالهم تسند إليهم بعض المناصب الكبيرة في الدولة[1].

ولكن المعتزلة لم يتسع سلطانهم بصفة أكيدة إلا في عهد الصاحب فلقد أعاد لهم الصاحب شيئاً من هيبتهم ، وعامل الناس من مذهبهم ، وجعل الايمان بمذهب المعتزلة وسيلة إلي الرزق والتمتع بالجاه في الدنيا ، قال في توقيعه على رقعة أبي الحسن البلخي: (من نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد ، وأن أقمت على الجبر فليس لكسرك من جبر)[2].

ويبدو أن الصاحب قد تلقى مباديء الإعتزال عن أبيه (عباد) الذي قال عنه ياقوت: (إنه صنف كتاباً في أحكام القرآن نصر فيه الإعتزال وجود فيه)[3].

كانت قادة المعتزلة جميعاً من أكثر الناس ثقافة بين معاصريهم وكان للدور الذي اتخذه المعتزلة أنفسهم إذ جعلوا من أنفسهم حامين حمى الإسلام. (المعتزلة يعدون أنفسهم أعمق الطوائف الإسلامية إيماناً بوحدانية ا وأشدهم دفاعاً عن عقيدة التوحيد وأعنفهم تصدياً للرد على أصحاب الأديان والنحل المختلفة برد كل ما يتعارض مع وحدانية ا وأزليته)[1].

والمعتزلة هم على الحقيقة خير من يمثل الإتجاه العقلي ، وهم الذين حاولوا أن ينظروا إلي الحياة نظرة منطقية ، بل حاولوا أن يأخذوا من الفلاسفة عاداتهم في إطلاق العقل ، ولكن في حدود ما جاء به القرآن ، ولكن ما يتصل بالدين من مباحث

---

[1] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 164.

[2] ياقوت ، معجم الأدباء ، ص 286 – 287.

[3] المصدر السابق ، ص 172.

[1] نعمان القاضي ، الفرق الإسلامية ، ص 542.

المعتزلة ليس شيئاً بالقياس إلي فلسفتهم ، ولقد جاء قولهم بالتوحيد والعـدل وبالوعـد والوعيد وبالمنزلة بين المنزلتين إلي ضرورة القول بالتنزيه المطلق لذات ا [2].

وقد عد المعتزلة مبدأ التوحيد من أهم مبادئهم ، لأنهم ذهبوا في تفسيره تفسيراً خاصاً وإن كان المسلمون جميعاً يمتازون بالتوحيد وبإعتقاد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له. قال الصاحب في التوحيد وفي ذهنه مذهبه لا ينساه[3]:

ومن كان بالتَشبيه والجبـرِ دائِنـاً	فَإني في التَوحيد والعـدل أوحـد
أنَزه رب الخَلق عـن حـد خلقـه	وقد زاغَ راوٍ في الصفات ومسنَد
فَهذا يقولُ الإلـه يهـوى ويصـعد	وهذا لَديه الله مـذ كـان أمـرد
تَبارك رب المرد والشـيب انهـم	لَأكفَر من فرعـون فيـه وأعنَـد
وآخر قـالَ الإلـه جسـم مجسـم	ولم يدرِ أن الجِسمِ شَـيء محـدد
وأن الذي قَد حـد لا بـد محـدث	إذا ميز الأمـر اللبيـب المؤيـد
لَقَد زعموا ما لَيس يعدوه مشـرك	وقد أثبتوا ما لَيس يخطوه ملحـد
وقُلنا بـأن الإلـه لا شَـيء مثلُـه	هو الواحد الفَرد العلـي الممجـد
هو العالِم الذات الذي لَيس محوجـاً	إلى العلم والأعلام تَبـدو وتَشـهد
ولَيس قَـديماً سـابقاً غَيـر ذاتـه	وان كان أبناء الضـلال تَبلـدوا
أتانا بـذكرٍ محكَـمٍ مـن كلامـه	هو الحجةُ العليـا لِمـن يتَسـدد
وان قــالَ أقــوام قَــديم لأنــه	كلام له فَانظُر إلى أيـن صـعدوا

وهو يحمل على المشبهة والمجبرة حملات شعواء كما يحمل نفس الحملات على من يقولون بأن القرآن قديم وغير مخلوق ، وبسط الرأي في التوحيد والتنزيه ، بـأن ا واحد ليس كمثله شيء ، وليس بجسم ولا شبح ، وليس بمحدود وهو عـالم قـادر لا كالعلماء ، وأنه قديم وحده ولا قديم غيره ، وأنه أتى بالقرآن الكريم وهو حجة لنـا ، ونفى قدم القرآن بأنه ليس سابق لذات ا تعالى وبل هو كلام ا سبحانه وتعالى.

---

[2] أحمد كمال زكي ، الحياة الأدبية في البصرة ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ط1 ، 1381هـ - 1961م ، ص 177.
[3] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 31.

ورد عبد الجبار للذين يقولون بأن القرآن قديم بقوله: (إن القرآن قديم مـع ا تعـالى ، فهو أن نقول لهم: إنكم قد بلغتم في الجهالة إلي أقصى الغاية ، فإن القـرآن يتقدم بعضه على بعض ، وما هذا سبيله لا يجوز أن يكـون قديـماً ، إذ أن القدم هو ما لا يتقدمه غيره)[1].

كذاك نجد الصاحب يردد مبادىء المعتزلة في شعره كثيراً فنجده يقول[2]:

العـدل والتَوحـ ـيد والامـامه   والمصطَفى المبعوث من تهامه

وسيلَتي في عرصة القيامه

فنجده يمزج إعتزاله بتشيعه لآل البيت حيث يذكر المصطفي ويذكر (العدل والتوحيد) في شعره ، ويقول أنهما عقيدته ومذهبه الذي يدين به ، وهـذا مـا يقولـه المعتزلة الذين يسمون أنفسهم (أصحاب العدل والتوحيد)[1].

ويقول الصاحب أيضاً وفي ذهنه مذهبه لا ينساه حيث كرر العـدل والتوحيـد مرة أخرى بقوله[2]:

حمـداً لِـرب جـل عـن نَديـد   وجـل عـن قبـائِح العبيـد

أدينُـه بالعـدل والتَوحيـد   والصدق في الوعد وفـي الوعيـد

ونلمس هنا عقيدة سليمة موحداً حيث نفى الشريك والنديد والمماثـل جـلّ وعلا وأنه يدين بالعدل والتوحيد وكذلك بالوعد والوعيد وهو صادق فيهمـا والوعـد والوعيد من مباديء المعتزلة. أن المعتزلة قالوا في الوعد والوعيـد (إن ا صـادق فيهما ، ولا يمكن أن يغفر الكبائر إلا بعد التوبة ، فإذا مات العبد على الطاعة والتوبة استحق الثواب ، وإلا فهو يعذب عذاب الكفار ، وذلك هو عدل ا ، ومن ثم أنكـروا الشفاعة وتمسكوا بالآيات التي تنفي الشفاعة لأن الشفاعة تتعارض مع الوعد والوعيد

---

[1] عبد الجــبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1384هـ - 1965م ، ص 531.

[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 275.

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 50.

[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 50 – 51.

وتنفي العدل عن ا ، لأنه إذا كان العبد ينجو بالشفاعة وليس بعمله فلا معنى لوعـد أو وعيد ، وليس ثمة مضمون للعدل!)[3].

ويذكر العدل والتوحيد وحب آل البيت بأنهم قد استحكموا في قلبه وحـلا فيـه بقوله[1]:

لو شُق عن قَلبـي يـرى وسـطَه ... سطران قَد خُطّـا بِـلا كاتـبِ

العــدلُ والتَوحيــد فــي جانــبٍ ... وحب أَهل البيـت فـي جانـبِ

وهنا نلمس مدى حبه لمذهب الإعتزال والتشيع لآل البيت في قوله لو شق قلبه ليري ما بداخله لوجد قلبه منقسماً إلي قسمين مذهب الإعتزال في جانب ، وحـب آل البيت في الجانب الآخر.

ونجده في هذه الأبيات قد ربط بين تشيعه وإعتزاله بقوله[2]:

وولاء آل محمـدٍ قَـد خيـر لـي ... والعدل والتَوحيد قَد سـعدا بـي

من بعد ما استَدت مطالِب طالِـبٍ ... باب الرشاد إِلى هدىً وصـوابِ

عاودتُ عرصةَ أَصبهان وجهلُهـا ... ثَبتُ القَواعد محكـم الاطنـابِ

والجبر والتَشبيه قَـد جثمـا بِهـا ... والدين فيهـا مـذهب النُصـاب

ذكر ولاءه لآل محمد ، وأن مذهبه في العدل والتوحيد قد سعد به ، والمعتزلة يفخرون بأنهم أهل العدل والتوحيد ، ولم يفارق الشاعر الجو العـام الـذي يـذكرنا بالبيئات الكلامية التي كانت تشيع فيها كلمات مثـل الرشـاد ، القواعـد ، الأطنـاب والنصاب إلي غير ذلك ، ويحمل أيضاً على المجبره والمشبه بأنهم قد حلا بأصبهان.

---

[3] محمود محمد مزوعة ، تاريخ الفرق الإسلامية ، دار المنار ، ط1 ، 1991م ، ص 606.

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 184.

[2] المصدر السابق ، ص 98.

ويذكر الجبر والتشبيه مرة أخرى بقوله[1]:

الحمد لله اذ كان المشيب على الـ تَوحيد والعـدل لا جبرٍ وتشبيه

يشتكي الشاعر الزمان ، ولكن يحمد ا عز وجل بأن مشيبه كان علـى ديـن العدل والتوحيد لا على دين المجبره والمشبه.

ولعل مشكلة الجبر والإختيار كانت أولى المشكلات التي اختلفت حولها الفرق المذهبية ، وذكر هدارة أن مدارها: هل نعترف بأن ا قدر على عباده الشر فننفـي بذلك العقل عن الإنسان وننسبه إلي ا ، ونبرئي المخلوق ونقر بظلم الخالق أم نقـر بأهمية عقل الإنسان وفعاليته وقدرته على التمييز بين الخير والشر دون تأثير إلهي ، فنصطدم ببعض آيات القرآن وبعض الأحـداث التـي لا يملـك الإنسـان لهـا رداً كالموت[2].

وفي الأبيات التالية تحدث عن مذهبه الذين يدين به ، وتعرض لقضية التوحيد ثم عرج وتحدث عن قضية خلق القرآن في شكل حوار بقوله[3]:

قالت فَما اختَرتَ من دينٍ تَفوز بِـه فَقُلــتُ انــي شَــيعي ومعتَزلــي

قالت أَقلدتَ أَم قَد دنتَ عن نَظـرٍ فَقُلـتُ كلّـا فَـانّي واحـد الجـدل

قالت فَكَيفَ عرفتَ الحق هات بِـه فَقُلتُ بِالفكرِ في الأقـوال والعلـل

قالت فَهل هـذه الأجسـام محدثَـةٌ فَقُلتُ جِداً وان رمت الـدليلَ سـلي

قالت أريد دلـيلاً فيـه مختَصـراً فَقُلتُ أَن لَيس فيهـا غَيـر منتَقـل

قالت فَهل صانع تَدعو اليه أَجِـب فَقُلتُ لا بد قَـولاً غَيـر ذي ميـل

قالت فَهل من دليـلٍ فيـه تـذكُره فَقُلتُ بيت بِلا بـانٍ مـن الخَطَـل

قالت فَهل هو ذو شـبهٍ وذو مثَـلٍ فَقُلتُ قَد جل عن شبهٍ وعـن مثَـل

قالت أَين لي أَجسم ذاك أَم عرض فَقُلتُ بل خالِقُ الجِنسـين فَـانتَقلي

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 143.
[2] مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي ، ص 323.
[3] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 39 – 41.

قالَت وما ضر لَـو أَثبتـه جسـداً   فَقُلتُ لا توجد الأجسـام فـي الأزل

قالَت فَقُل لي أ بِالأبصـارِ نُدرِكُـه   فَقُلتُ جـل عـن الادراك بِالمقَـل

قالَت ولِم ذا وهـل شَـيء يغَيبـه   فَقُلتُ ما هو محجوب فَيظهـر لـي

قالَت لَعل حجابـاً عنـك يسـتُره   فَقُلتُ أَخبرت عن شَخصٍ وعن طَلَل

قالَت فَما القَولُ في القُرآن سقه لَنـا   فَقُلت ذاك كَـلام الَلـه أَيـن تُلـي

قالَت فَأين دليلُ الخَلـق فيـه أَيـن   فَقُلتُ تَركيبه مـن أَحـرف الجمـل

وواضح إن وراء الأبيات عاطفة مشبوبة وإحساساً صادقاً بالحـب للمعتزلـة والإيمان بعقيدتهم والولاء المخلص لمذهبهم ويتجلى ذلك في إشارته بأنـه معتزلـي. وساق الحوار حيث تمكن من فصاحة القول وقوة المنطق والقدرة على التأثير والإقناع بأنه عرف الحق بالفكر والدليل والمنطق والبرهان ، ونفى الشبيه والمماثـل بأنـه ليس ذو شبه وذو مثل وليس له جسم ولا جسد بل هو الخالق ، ولا يدرك بالأبصـار وهو ليس بالشيء المحجوب فيظهر لأن ذلك من صفات البشر ، وأن القرآن مركـب من أحرفٍ ثم جمل وهذا هو دليل الخلق فيه وهو كلام ا .

أن الصاحب قد جد في نشرالإعتزال والدعوة له بكل وسيلة ممكنة ، فقد كـان يعقد المجالس في حضرته ، ويسأل الناس رأيهم في القرآن ، أمخلوق أم غير مخلوق، وتجري بينه وبينهم مناظرات في ذلك[1].

كان المعتزلة يتشددون غاية التشدد في نفي كل شيء يوهم التعدد ويتعـارض مع الأزلية والمخالفة للحوادث ، ولقد قرر الشهرستاني مذهبهم في ذلك بقوله: (فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد ، القول بأن ا تعالى قديم ، والقدم أخـص وصـف ذاتـه ، ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاتـه ، واتفقوا على نفي رؤية ا تعالى بالإبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كـل

---

[1] ياقوت ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 211 – 212.

جهة ومكاناً وصورة وجسماً وتميزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً ، وأوجبوا تأويـل الآيات المتشابهة فيها ، وسموا هذا النمط توحيداً)[1].

وذهب المعتزلة إلي القول بخلق القرآن فإنهم لما رأوا أن وحدانية ا تعـالى يتنافى معها وجود شيء له صفة القدم والأزلية ، قالوا إن القرآن مخلوق وليس بقديم فالقرآن كلامه ، وكلامه محدث يحدثه هو في محل حينما يريد ، فهذا الكـلام لـيس قائماً بذاته وليس له صفة قديمة خارجة عن الذات ، إنما هو شـيء محـدث يحدثـه ليكون في محل حيث يريد[2].

---

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 57.
[2] الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج1 ، ص 245 – 246.

الغــزل:

بدت نزعة شاعرنا الإعتزالية واضحة في مقطوعاتـه الغزليـة ، وبعـض مقدمات قصائده التي يشغل النسيب أجزاء منها.

وفي الغزل يقول الصاحب بن عباد ، وهو مما يبدو فيه بوضوح تأثير مذهبـه في الإعتزال قوله[1]:

كُنتُ دهراً أقـول بالاسـتطاعه   وأرى الجبر ضلةً وشَـناعه

فَفَقَدتُ استطاعتي في هوى ظَبـ   يٍ فَسمعاً لِلمجبرين وطاعـه

إن الصاحب في هذين البيتين ، يبني فكرته الغزلية على مذهبين متعارضـين هما مذهب المعتزلة الذي يقول بإستطاعة العبد وقدرته على أفعـاله ، ومذهب الجبر الذي ينفي هذه الإستطاعة وتلك القدرة ، فهو يستغل هذين المذهبين في التعبير عـن فكرته التي يريد أن يصورها ، فهو يريد أن يقول: إنه قبل أن يقع في شباك الهـوى كان يدين بمذهب المعتزلة الذي يقرر مبدأ حريـة الإرادة الإنسـانية وقـدرة العبـد واستطاعته في أفعاله ، ويرى إن مذهب الجبر الذي يفقد الإنسان حريته ولا يعتـرف له بقدرة أو استطاعة ليس إلا ضلالة وشناعة ، ولكن بعد أن جرب الحب وعبوديته ، ورأى أنه فقد استطاعته في هوى ظبية ، لم يجد بداً من الإيمان بمذهب المجبرة ، بعد أن اثبتت تجربته العملية ، صحة هذا المذهب.

هذا هو مفهوم البيتين ولعله واضح فيهما أثر النزعة المذهبية وكل هذا يجعلنا ننظر إلي هذين البيتين على أنها مجرد استغلال للتناقض الموجود بين المذهبين فـي التعبير عن فذلكة غزلية خطرت ببال الصاحب ، ولكنهما لا يعنيان حقيقة ما يـدلان عليه من أن الصاحب قد ترك مذهب الإعتزال من أجل ظبيته ولكن ربما سخر مـن مذهب المجبرة فعبر في غزله بأنه انصاع لهم.

لكن المعروف أن الصاحب بن عباد كان من رجال المعتزلة ، بل لقد كان هو الدرع الواقي لهم في القرن الرابع بعد أن مرت بهم فترات من الضعف والهزيمة إثر

---

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 204.

نكبتهم على يد المتوكل ، ولم يعرف أنه تخلى عن مذهب المعتزلة أو عدل عنه إلـي مذهب آخر ، بل لقد ظل على ولائه لذاك المذهب حتى مات[1].

قال الصاحب أيضاً وفي ذهنه مذهبه لا ينساه[2]:

ولمـا تَنـاءت بالحبيـب ديـاره	وغودرتُ ممن غار فيه على وهمِ
تَمكن منّي الشَوقُ غَيـر مخـالِسٍ	كمعتَزِلي قَد تَمكـن مـن خَصـم

فهو هنا أيضاً يفي لمذهبه ، ويستحضره في ذهنه كمـا يستحضـر صـورة محبوبه حيث تناءت به الديار ، إنه هـنا لا يتحدث عن أصل من أصول المـذهب ، ولا يخوض في جبر أو استطاعة ، فهو في هذه المرة يحتاج إلي شيء آخـر ، إنـه يتحدث الآن عن الشوق الذي تمكن منه حين نأى عن حبيبه ، ويريد أن يصور مبلـغ ذلك التمكن ، فلم يدر في ذهنه شيء يمثل شدة الـتمكن والسـيطرة سـوى صـورة المعتزلي حين تمكن من خصمه فتمثل بها.

ومن غزل الصاحب أيضاً[3]:

علي كالغَزال أَو الغَزالـه	رأَيتُ بِه هلالا في غلالَه
كأَن بياض غُرته رشـاد	كأَن سواد طُرته ضـلالَه
كأَن اللـه أَرسـلَه نَبيـاً	وصير حسنَه أَقوى دلالـه

إنه يتغزل أيضاً ، ولكنه لم يفارق في تشبيهاته الجو العام الذي يذكرنا بالبيئات الكلامية التي كانت تشيع فيها كلمات الرشاد والضلالة والدلالة فبياض غرة محبوبـه عنده يشبه الرشاد ، وسواد طرته يشبه الضلال ، وكأن ا أرسـل محبوبـه نبيـاً ، وجعل حسنه دلالة عليه ، فأثر البيئة واضح في تشابيهه وألفاظه.

ومن غزل الصاحب قوله[1]:

تَعرفتُ بِالعـدل فـي مـذهبي	ودان بِحسنِ جِدالي العـراق

[1] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 340.
[2] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 282.
[3] المصدر السابق ، ص 270.
[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 254.

فَكُلفتُ في الحبِ ما لَـم أطـق   فقُلتُ بِتَكليف مـا لا يطـاق

ذكر مذهبه في العدل ، وأنه استطاع أن يسيطر بجداله على العراق ولكن الحـب كلفه فوق استطاعته ، ولم يستطع أن يسيطر عليه فقال بتكليف ما لم يطق.

الفــخر:

الفخر من أغراض الشعر العربي القديمة منذ الجاهلية ، وقد ظلّ حياً فيه على توالي العصور ، والشاعر يفخر فيه بشمائله الرفيعة الفردية مـن المـروءة والكـرم والوفاء.

(الافتخار هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكـل مـا حسن في المدح حسن في الإفتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الإفتخار)[2].

ويظهر أن التشيع اقترن اقتراناً تاماً بالإعتزال عند الصاحب فنجد ذلك في قوله[1]:

العدلُ والتَوحيد كُل معاقلي   وولاء آل الطهر جل حصوني

يفخر بأن مذهب العدل والتوحيد يعتبر معقله ، وولاءه لآل محمـد هـي الحصون المنيعة بالنسبة له.

ويعتزل مرة أخرى بقوله[2]:

العدلُ والتَوحيد مذهبي الذي   يزهى به الايمان والاسلام

يفتخر بمذهبه مرة أخرى ، وربطه بالإيمان والإسلام بأنه يزهى بها ، فيعتـز به ، ويمجده ويفتخر الصاحب دائماً بأنه يدين بمذهب العدل والتوحيد وكرر ذلك فـي مواضع كثيرة. وقال الإمام أبو زهرة عن التوحيد والعدل: (أما التوحيد فقد كان الرد على المشبهة والمجسمة ، والعدل كان للرد على الجهمية)[3].

---

[2] ابن رشيق ، العمدة ، ص 143.

[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 129.

[2] المصدر السابق ، ص 273.

[3] عبد الرحمن أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، 1989م ، ج1 ، ص 131.

وافتخر مرة أخرى بقوله[4]:

ما ملةٌ فَوقَ وجه الأرض من ملَّـل لا تَهيب عـن تَسـال معتَزلـي
قَوم إذا نـاظَروا صـالوا بِحجـتهم صولَ البزاة على الدراج والحجل
لِلـه درهـم علمـاً ومعرِفَـة وفطنَةً لِعلـوم الحـق والجـدل

يفخر الشاعر في هذه الأبيات بقومه المعتزلة ، ويصفهم بأنهم يتميزون بقدرات بلاغية فائقة كانت لهم خير معين على أداء رسالتهم ، ولهم مقدرة في الإقناع والجدل ويمتاز كثير منهم برجاحة العقل وفصاحة اللسان والقدرة على الخطاب وهـم أهـل مناظرات.

"أن للمعتزلة الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام ، وعلـم الجـدل والمناظرة"[1].

الهجـــاء:

الهجاء في اللغة قولهم: هجاه يهجوه هجواً وهجاء وتهجاء ، ممـدودة: شـتمه بالشعر ، وهو خلاف المدح[2].

وهو في الإصطلاح تعداد مثالب المرء وقبيله ونفي المكارم والمحاسن عنه[3].

من القضايا التي تعرض لها المعتزلة قضية القبح والحسن العقليين ، فإنهم لما آمنوا بعدالة ا ، وأنه لا يفعل بمقتضى هذا العدل إلا ما فيه خير عباده وصلاحهم ، دعاهم إلي النظر في الأعمال ، هل هي حسنة لذاتها وقبيحة لذاتها؟ أم أنها تكتسـب حسنها وقبحها بتوجيه من الشرع ، فالشرع هو الذي يحسن العمل وهو الذي يقبحـه بغض النظر عن حكم العقل فيها[4].

---

[4] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 266.
[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج3 ، ص 95.
[2] ابن منظور ، لسان العرب ، ط 1 ، ج5 ، مادة هجا.
[3] سيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ط39 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1403هـ - 1983م ، ص 343.
[4] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة ، ص 144.

لقد اتخذ المعتزلة من هذه القضية موقفاً واضحاً استندوا فيه إلي تمجيد العقـل والإعتزاز به وإعتباره مرجعاً أساسياً في تحسين الأشياء وتقبيحها ؛ فالحسن والقبح – في نظر المعتزلة – صفتان ذاتيتان للأشياء[5].

ومن شعر الصاحب بن عباد في الهجاء قوله في هجاء ابن متوية[1]:

يا فَتـى متـوي رِفقـاً لَستَ من ينكـر أَصلـه
انمـا ينكـر منـه من جنـونٍ فيـه ثقلُـه
أَنتَ نَـذلٌ مـن كـرامٍ أَنتَ في الطاووسِ رجلُه

أن الصاحب هنا لا يطعن ابن متوية في نسبه أو أصله ، بـل أنـه ليعتـرف بأصله وكرم محتده ، ولكن الطعن موجه إليه هو ذاته فهو يقول له: أنـت نـذل وإن كان آلك كراماً ، فما أشبهك بالنسبة إليهم برجل الطاؤوس بالنسبة إليه ، فالطـاؤوس في ذاته جميل ، وليس فيه من قبح سوى رجله.

وقد نظم الصاحب هذا المعنى نفسه في بيتين آخرين في ابن متوية فقال[2]:

أَبوك أَبو علـي ذو عـلاءٍ إِذا عد الكرام وأَنـتَ نَجلُـه
وإِن أَباك إِذ تُعـزى إِلَيـه لَكالطاووس تقبح منه رجلُـه

ففكرة الهجاء في هذه الأبيات تقوم على الطعن في النسب وهي فكرة تقليديـة عند الشعراء الهجائين.

---

[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص 53.
[1] الصاحب بن عباد ، الديوان ، ص 272.
[2] المصدر السابق ، ص 272.

الخـــاتمة:

آن للقلـم أن يتوقـف بعـد هـذا التجـوال الهـادف إلـي تقصـي ظـاهرة الإتجاهـات المذهبيـة فـي شـعر الصـاحب بـن عبّـاد ، بـدءاً بوقفـه عنـد الشـعر المـذهبي عنـد الشيعة، المعتزلـة ، الخـوارج ، والمرجئـة وتتبعـاً تاريخيـاً لنشـأة المذاهب وبدء تكونها وتواصلت تلك السياحة في شعره وخلصت إلي ما يلي:

أولاً: من خلال دراسة الحياة السياسية اتضح لـي وعلـى الرغم من إضطراب الحياة السياسية إلا أن الحياة الأدبية وجدت تربـة خصبة حيث ظهر كثيرٌ من الشعراء الذين أثروا الحياة الأدبية بشعرهم.

ثانياً: شعر الشيعة اتضح لي أنـه شعر كثير استطاع أن يواكب أحداث الشيعة جميعها مما يجعله بمثابة وثيقة تاريخية ، وفي شعرهم حملات على بنـي أميـة بخاصة لأنهم خصومهم الذين انتزعوا حقهم وجهروا بعقيدتهم في رجعة الإمـام المنتظر ودللوا على أن الخلافة حقهم وحدهم وجاءوا بأدلة دينيـة وعقلية.

ثالثاً: وجدت أن شعر المعتزلة قليل ولا يعدو كونـه مقطوعـات أو أبياتـاً يسـيرة متنـاثرة والسـبب فـي ذلـك لأن جل نشـاط المعتزلـة الفكـري قـائمٌ علـى المناقشـة والجدل ، لذلك كان النثر أنسب من الشعر.

رابعـاً: ومـن خـلال دراسـة شـعر الخـوارج وجـدت أنـه شـعر تشـيع فيـه حـرارة الإيمان وقوة العقيدة وفداء المذهب ، والاستخفاف بالحياة ، وطلب المـوت فـي سـبيل المبـدأ ، وشـعرهم لا يـدور حـول أشـخاص وإنمـا يـدور حـول عقيـدة هـم أنفسهم قادة نضالها ، فجاء شعرهم قوياً واضحاً صادقاً.

خامساً: والمرجئة تجيز إحتمـال عفو الله حتـى مـع عدم التوبـة لـذلك كـان دافـع أكثر الذين اعتنقوا مذهب الإرجاء.

سادساً: وفـي شـعر ابـن عبّـاد ظهـر لـي أنـه فـي المـديح لـم يمـدح غيـر آل البيـت والتشيع لهم عليهم السـلام ، وكذلك لم يمـدح مـن النـاس غـير أسـتاذه ومربيـه ابن العميد ، كما أنه لـم يمـدح مـن أجل العطـاء لأنـه كـان وزيـراً وابـن وزيـر لا حاجة له في العطاء ، بل هو الذي يعطي الناس.

سابعاً: في الرثـاء توجـه برثائـه جميعـاً لآل البيت ومـا أصـابهم من قتـل وظلـم ، بالأخص الحسين بن علي رضـي الله عنه ولعن الذين قتلوه.

ثامناً: وفي الفخر افتخـر بحبـه لآل البيـت وتشيعه لهـم عليهم السلام ، وخاصـة الإمام علي كرم الله وجهه.

تاسعاً: وجدتُ أن الصاحب يردد مباديء المعتزلة في شعره كثيراً.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. ابن الأثير عز الدين علي بن الحسن علي بن المكرم ، الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط 1966م.
2. ابن الأثير عز الدين علي بن الحسن بن علي بن المكرم ، الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت 1989م
3. إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1963م.
4. أحمد أبو حاقة ، فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، منشورات دار الشرق الجديد ، بيروت ، 1962م.
5. أحمد الاسكندري ومصطفى عناني ، الوسيط في الأدب العربي ، القاهرة ، ط 18 ، 1931م.
6. أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، 1935م.
7. أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1964م.
8. أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط10 ، 1965م.
9. أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط4 ، 1966م.
10. أحمد كمال زكي ، الحياة الأدبية في البصرة ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ط1 ، 1381هـ - 1961م
11. أحمد محمد أحمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط2 ، 1408هـ - 1988م.
12. الأحوص الأنصاري ، الديوان ، تحقيق وشرح الدكتور سعدي ضناوي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998م.
13. آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، 1947.

14. أبو الأسود الدؤلي ، الديوان ، تحقيق: محمد حسن آل يس ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، 1418هـ - -198م.
15. الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1997م.
16. الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباريء ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار السلام ، الرياض ، ط1 ، 1418هـ - 1997م.
17. الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباريء ، دار المعرفة ، بيروت ، ط د. ت.
18. الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، ط1 ، 1971م.
19. أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1380هـ - 1960م.
20. البحتري ، الديوان ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1415هـ - 1995م.
21. أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، دار النهضة ، 1960م.
22. الترمذي محمد بن عيسى بن مسورة ، سنن الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1983م.
23. أبو تمام ، الديوان ، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1407هـ - 1987م.
24. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1388هـ - 1969م.
25. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب ، 1349هـ - 1930م.
26. الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1964م.

27. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1962م.
28. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1964م.
29. حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، المطبعة البوليسية ، د. ت.
30. ابن حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، شرح أحمد أمين وأحمد الزين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د. ت.
31. دائرة المعارف الإسلامية.
32. دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، الديوان ، تحقيق: د. محمد يوسف نجم ، ط دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1962م.
33. ديك الجن ، الديوان ، جمع وتحقيق أحمد مطلوب ، عبد الله الجبوري ، ط دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1964م.
34. ذكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، دار الجيل ، بيروت ، 1352هـ - 1934م.
35. الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، 1993م.
36. سعاد ماهر ، مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف ، دار المعارف ، مصر ، 1969م.
37. سعد القمي ، المقالات والفرق ، تقديم محمد جواد شكور ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1963م.
38. سيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ط39 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1403هـ - 1983م.
39. السيد الحميري ، الديوان ، جمعه وحققه وشرحه: شاكر هادي شكر ، قدم له السيد محمد تقي الحكيم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (-196م).
40. السيد محمد مرتضي الزبيدي ، تاج العروس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (-196م).
41. شاه عبد العزيز غلام الدهلوي ، ألف أصله بالفارسية ، مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية إلي العربية غلام محمد محي الدين

الأسلمي ، اختصره وهذبه السيد محمود شكري الألوسي ، حققه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1373هـ.
42. شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1397هـ - 1977م.
43. شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، السفر الثالث ، ط3 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1338هـ.
44. شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط دار الفكر العربي ، د. ت.
45. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف 1960م.
46. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م.
47. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966م.
48. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، ط9 ، 1995م.
49. الشيخ حسن ال يس ، الصاحب بن عباد حياته وأدبه ، مكتبة الصاحب ابن عباد.
50. الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباس ، معاهد التنصيص ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 1367هـ - 1948م ، المجلد الرابع.
51. الصاحب بن عباد ، الديوان ، تحقيق الشيخ محمد حسن ال يس ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1384هـ - 1965م.
52. الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد ، الكشف عن مساويء شعر المتنبيء ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة ، دار المعارف ، 1963م.
53. الطرماح بن حكيم ، الديوان ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ط2 ، 1414هـ - 1994م.

54. أبو الطيب المتنبيء ، الديوان ، شرح أبو البقاء العكبري ، ضبطه وصححه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ.
55. العباس بن الأحنف ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ط 1385هـ - 1965م.
56. أبو العباس المبرد ، الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1966م.
57. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة بإختصار السند ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة التربية لدول الخليج ، ط2 ، 1987م.
58. عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبو هاشم ، حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1384هـ - 1965م.
59. عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة إلي نهاية القرن الرابع الهجري ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ط3، 1959م.
60. عبد الحميد القط ، عبد القادر القط ، النقد العربي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط1 ، 1409هـ - 1989م.
61. عبد الرحمن أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، 1989م.
62. أبو عبد الرحمن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب اللبناني ، ط 1981م.
63. عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة ، ط2 ، 1916م.
64. عبد الفتاح أحمد ، الفرق الإسلامية واصولها الإيمانية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1992م.
65. عبد القادر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مكتبة دار التراث القاهرة ، 1900م.
66. عبد القادر بن عمرو البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1409هـ.
67. عبد المنعم الحنفي ، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط3 ، 2005م.

68. عز الدين إسماعيل ، في الشعر العباسي الرؤية والفن ، المكتبة الأكاديمية ، ط1 ، 1980م.
69. علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ، تحقيق: هلموت ريتر.
70. علي بن الجهم ، الديوان ، تحقيق: خليل مردم بك ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1963م.
71. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2001م.
72. علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ.
73. عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1414هـ - 1993م.
74. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر الشهرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1956م.
75. أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ط3 ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، د. ت.
76. ابن الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، مكتبة دار المعارف ، بيروت ، ط 1977م.
77. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبدا علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1412هـ ، 1992م.
78. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار الثقافة ، بيروت ، 1359هـ.
79. الفرزدق ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ط 1386هـ - 1966م.
80. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1955م.
81. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، شرح صحيح مسلم ، تحقيق د. يحي إسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط1 ، 1419هـ - 1998م.

82. الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، د. ت.
83. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، دار الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1946م.
84. كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ألفه بالألمانية: كارل بروكلمان ، أشرف علي ترجمته إلي العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ، 1961م.
85. كثير عزة ، الديوان ، جمع وتحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1391هـ - 1971م.
86. الكميت بن زيد الأسدي ، الديوان ، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000م.
87. كوربان هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة نصير مروة ، بيروت ، لبنان 1966م.
88. اللواء حسن صادق ، جذور الفتنة بين الفرق الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 2004م.
89. محمد احمد التركماني ، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية ، دار عمار ، للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1406هـ - 1986م.
90. أبو محمد الحسين بن موسي النوبختي ، فرق الشيعة ، تحقيق: هلموت ريتر.
91. محمد الحضري بك ، تاريخ محاضرات الأمم الإسلامية ، وزارة المعارف ، ط1 ، 1970م.
92. محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة 1974م.
93. محمد سيد كيلاني ، أثر التشيع في الأدب العربي ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1974م.
94. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990م.
95. أبو محمد بن علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، -198م.

96. محمد مصطفى رضوان ، العلامة اللغوي ابن فارس الرازي ، دار المعارف، مصر ، 1959م.
97. محمود محمد مزوعة ، تاريخ الفرق الإسلامية ، دار المنار ، ط1 ، 1991م.
98. أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1977م.
99. ابن منظور أبو الفضل جلال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، القاموس المحيط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410هـ - 1990م.
100. مهيار الديلمي ، الديوان ، دار الكتب المصرية ، ط1 ، 1931م.
101. نايف معروف ، الخوارج في العصر الأموي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان، ط3 ، د. ت.
102. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: إيميل بديع يعقوب ، د. محمد نبيل طريفي ، دار الكتب.
103. أبو نواس ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د. ت.
104. الواقدي محمد بن عمر بن واقد ، المغازي ، (ت مارسون جونس) عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1404هـ.
105. ياقوت الحموي الرومي ، معجم الأدباء ، مكتبة عيسي البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر ، 1936م.
106. يحي هاشم حسن ، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الإسلامية ، مطبوعات مجمعه البحوث الإسلامية 1391هـ - 1972م.

فهرس الآيات القرآنية:

.10	﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾	سورة النمل	﴿19﴾	د
.11	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾	سورة القصص	﴿15﴾	52
.12	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	سورة الأحزاب	﴿33﴾	119
.13	﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾	سورة الصافات	﴿83﴾	52
.14	﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾	سورة الدخان	﴿21﴾	70
.15	﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ ...﴾	سورة الإنسان	﴿1﴾	121

فهرس الأحاديث النبوية:

فهرس الأشـــعار: